



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم



عمر
عليه السلام

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

رحلة

الإيطالي كاسبارو بالبي

إلى حلب - دير الزور - عنه - الفلوجة - بغداد

سنة ١٥٧٩

مترجمها عن الإيطالية وعلق عليها

الأب د. بولوس حوداد

مركز الدراسات والبحوث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رحلة الايطالى كاسبارو بالبي

كاتب:

كاسبارو بالبي

نشرت فى الطباعة:

الدار العربية للموسوعات

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٩	رحلة الايطالى كاسبارو بالبي
٩	اشارة
٩	مقدمة المعرب
٩	اشارة
٩	صاحب الرحلة
١٠	الرحلة
١٠	اشارة
١٠	ملاحظات فى الرحلة
١١	طبغات الكتاب
١٢	رحلة الجوهرى البندقى كاسبارو بالبي إلى الهند الشرقية
١٢	اشارة
١٢	الفصل الأول طريق الرحلة من البندقية إلى حلب
١٢	الفصل الثانى وصف الرحلة من حلب إلى بغداد بدء السفر
١٢	اشارة
١٣	وصف قوارب بيره جك
١٤	الرحيل
١٦	دير الزور
١٩	بلدة عنه
١٩	أبو ريشة
٢٠	الفصل الثالث تكملة السفر من عنه إلى جبه
٢٢	الفصل الرابع الطريق من جبه إلى الفلوجة
٢٢	اشارة

- ٢٢ هيت
- ٢٣ قير هيت
- ٢٣ أسعار القوارب
- ٢٤ تكملة الرحلة
- ٢٤ الكرود
- ٢٥ الفلوجة
- ٢٥ الفصل الخامس وصف الفلوجة حيث نزلنا للإنتلاق منها إلى بغداد و تكملة الرحلة
- ٢٥ اشارة
- ٢٥ الكلک
- ٢٥ على مشارف بغداد
- ٢٦ آثار عقروقوف
- ٢٧ المصاريف من حلب إلى بغداد
- ٢٧ الفصل السادس وصف بغداد و السفر إلى البصرة
- ٢٧ اشارة
- ٢٨ قلعة بغداد
- ٢٨ الفصل السابع وصف برج نمرود القريب من بغداد
- ٢٩ الفصل الثامن الموازين و النقود و المقاييس في بغداد
- ٢٩ الموازين
- ٢٩ المقاييس
- ٢٩ النقود
- ٢٩ الرسوم
- ٣٠ الفصل التاسع السفر من بغداد إلى البصرة
- ٣٠ اشارة
- ٣٠ وصف المركب

- ٣١ تكملة الرحلة فى دجلة
- ٣١ العمارة (كوت العمارة)
- ٣١ عادات البدو
- ٣٢ القرنة
- ٣٣ السكان
- ٣٣ الفصل العاشر وصف البصرة
- ٣٣ اشارة
- ٣٤ رسوم المكس
- ٣٤ تجارة الهنود فى البصرة
- ٣٤ الفصل الحادى عشر الأوزان و النقود و المقاييس فى مدينة البصرة
- ٣٤ الأوزان
- ٣٥ المقاييس
- ٣٥ النقود
- ٣٥ الضرائب
- ٣٦ الموازين من جديد
- ٣٦ أجور السفن
- ٣٧ الفصل الثانى عشر الإبحار من البصرة إلى جزيرة هرمز
- ٣٧ الحمام الزاجل
- ٣٧ مغادرة البصرة
- ٣٨ وصف السفينة
- ٣٩ تكملة الرحلة
- ٣٩ مقاييس هرمز
- ٤٠ الفصل الثالث عشر العودة من البصرة إلى بغداد فى نهر دجلة
- ٤٠ اشارة

- ٤٠ الوصول إلى بغداد
- ٤١ المصادر و المراجع
- ٤٢ الفهارس العامة
- ٤٢ اشارة
- ٤٢ فهرس الأعلام
- ٤٣ فهرس الأماكن
- ٤٤ فهرس عمراني
- ٤٧ فهرس المحتويات
- ٤٩ تعريف مركز القائمة باصفهان للتمريرات الكمبيوترية

رحلة الايطالى كاسبارو بالبي

اشارة

نام كتاب: رحلة الايطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد
 نويسنده: بالبي، كاسبارو
 موضوع: سفرنامه
 زبان: عربى
 تعداد جلد: ١
 ناشر: الدار العربية للموسوعات
 مكان چاپ: بيروت
 سال چاپ: ١٤٢٩ هـ. ق
 نوبت چاپ: اول

مقدمة المغرب

اشارة

هذه رحلة الجوهرى البندقى - نسبة إلى مدينة البندقية بإيطاليا - كاسبارو بالبي Gasparo Balbi الذى قدم إلى العراق فى الربع الأخير من القرن السادس عشر و هو فى طريقه إلى الهند. و تعد هذه الرحلة من أهم الرحلات لما فيها من معلومات تاريخية و جغرافية تخص العراق أولآ و لقدمها ثانيا، و لم ينقل نصها إلى العربية حتى الآن، لذلك أخذت على عاتقى هذا العمل خدمة للباحثين و المؤرخين.

صاحب الرحلة

تعد أسرة بالبي من البيوتات العريقة فى مدينة البندقية. فى هذه الأسرة ولد الرحالة كاسبارو بن ترانكويلو الذى كان يعمل مساعد قبطان فى إحدى السفن المخصصة لحامية كريت.
 ولد كاسبارو نحو سنة ١٥٥٠ فى البندقية، و لا نعلم
 رحلة الايطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٦
 شيئا عن مطلع حياته، كل ما لدينا من معلومات عنه إنه قرر الرحيل إلى الشرق فى مرحلة كثر فيها رحلات العمل و التجارة إلى الشرقين الأوسط و الأقصى سعيا وراء التوابل و الأحجار الكريمة و غير ذلك.
 و كانت البندقية فى ذلك العهد فى أوج عزها و كانت تسعى لمنافسة البرتغال و أسبانيا فى ميدان التجارة الخارجية.
 فاتح كاسبارو تاجرين معروفين فى مدينته ليقرضاه بضائع مرغوبة فى الشرق ليتاجر بها فى بلاد الشام لقاء أحجار كريمة يحصل عليها هناك فيرسلها إليهما، فإقتنعا بكلامه و لبيا طلبه، فتسلم منهما ما قيمته ١٠٤٤ دو كاه (دوقية) و شد الرحال إلى الشرق نحو سنة ١٥٧٦ أو بعدها بقليل و هو إنذاك فى عز و شبابه.

مرت الأيام و السنون و التاجران ينتظران على أحر من الجمر وصول الأحجار الثمينة التى كانا يحلمان بها لكنهما لم يتسلما شيئا، بل لم يصلهما خبر من بالبي، فتسربت الشكوك إلى نفسيهما و عيل صبرهما، عندئذ كتبا إلى صديق لهما مقيم فى حلب، إذ كان فى حلب مكاتب عديدة للصيرفة تعمل هناك، فوجها إلى هذا الصديق وكالة تاريخها ١٦ نيسان ١٥٧٩ يخولانه فيها البحث عن بالبي و مقاضاته.

عندئذ كتب بالبي رسالة تاريخها ١ تشرين الثانى من تلك

رحلة الايطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٧

السنة يشرح فيها سبب صمته الطويل، فقد عانى الكثير في رحلته المزعجة، لكن مع كل ذلك مضى قدما إلى الهند عن طريق ما بين النهرين، و يضيف: إنه استدان مبالغ طائلة من أصدقاء بنديين آخرين ليتاجر بها في الشرق الأقصى. و يعدهما أخيرا بأنه سيعود بعد سنتين، و يتعهد بإعادة المبالغ التي لهما في ذمته.

طال الغياب، و انتقل التاجران إلى الرفيق الأعلى، و لم يعد صاحبنا إلى بلده إلا بعد سنوات أى نحو سنة ١٥٨٨؛ فأقام ورثة التاجرين المتضررين دعوى عليه، و بعد أخذ ورد توصل الطرفان إلى حسم النزاع سلميًا، لكن بالبي لم يلتزم بوعدده، فأشتكيا عليه من جديد و ألقى القبض عليه هذه المرة و زج في السجن في ١١ تموز ١٥٩٠ و بقى نزيل السجن أسبوعا كاملا حتى خرج منه بكفالة. و يظهر من أعمال المحكمة أنه كان يستعد لرحلة جديدة إلى الهند، لكننا لا نعلم أن كان قد رحل أم لا. كما لا نعرف بالضبط سنة وفاته التي حدثت بين سنة ١٦٢١-١٦٢٥ إذ نجد له وصية مكتوبة تاريخها ١٦٢١ و كان قد أصبح في ذلك الوقت صاحب محل للجواهر، بينما في سنة ١٦٢٥ لا يرد اسمه في سجلات الكاتب العدل الخاصة بالجوهريين فلعله مات في إحدى تلك السنين.

رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٩

الرحلة

إشارة

تبدأ رحلته عند مغادرته حلب في ١٣ كانون الأول ١٥٧٩ و بعد يومين يصل إلى بيره جك على الفرات حيث يستقل مركبا ينحدر به إلى الفلوجة، بعد أن يمر بالقائم و عنه و هيت. و من الفلوجة يذهب بزا إلى بغداد لينزل في دجلة إلى البصرة التي يصلها في ٢١ آذار ١٥٨٠ و يغادرها بطريق البحر إلى هرمز. إنه الطريق التي مر به الرحالة العربي ابن بطوطة صاعدا. و قد ذكر بالبي في هذا القسم من الرحلة- أى القسم العراقي- نحو مئة و ثلاثين موقعا بين مدن مهمة و قصبات و قرى صغيرة، و هنا تكمن أهمية هذه الرحلة.

بعد أن طاف في الهند و سيلان و غيرهما عاد سنة ١٥٨٧ إلى البصرة و منها إلى بغداد عن طريق دجلة أيضا فوصلها في ٢٣ تشرين الثاني من تلك السنة. ثم تركها عن طريق حلب راجعا إلى بلاده.

عند قراءة الرحلة نستنتج أن بالبي كان يحتفظ بدفتر

رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٠

يسجل فيه يوميات السفر، ففي رحلته دقة لا نلقاها في نصوص الرحلات الأخرى، فهو يذكر التواريخ و الساعات و أسماء المواقع، بحيث يستطيع القارئ تتبع محطات رحلته يوما بعد يوم.

إنه يحب الإختصار، و لذا أهمل عن تعمد سرد أحداث الرحلة من البندقية إلى حلب لأن كثيرين من قبله تطرقوا إليها فهي معروفة لدى القراء، و فعل ذلك أيضا في نهاية الرحلة إذ توقف عن الكلام بعد مغادرته بغداد.

ليس من الواضح أن كان بالبي يتكلم العربية أم لا، و لعله كان يستطيع التفاهم بها، فسأل مرافقيه عن أسماء المدن و القرى و كتبها نقلا عن السماع لا أكثر، فضبط بعضها و تشوه بعضها في كتابه.

ملاحظات في الرحلة

(أ) لم يترك بالبي صغيرة و لا كبيرة دون أن يسأل عنها المسافرين أو الملاحين و كان يسجل في دفتره أسماء المواقع كما يسمعا منهم، و أخبار الناس و عاداتهم كما يفهمها من مرافقيه. لذا نجد في رحلته وصفا حسنا للسفن و القوارب المستعملة في العراق، و أسماء المدن و القرى، و بعض الملاحظات عن المواقع الأثرية في قطرنا.

و هنا لا بد أن أشير إلى الصعوبة التي جابهتنا أثناء

رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١١

العمل، ذلك أن المؤلف عند إيراده أسماء المواقع، كثيرا ما يذكرها بصورة مغلوطه. لذا أوردت في الترجمة تلك الأسماء بحروفها الأصلية كما هي في النص الإيطالي، فأشرنا إلى المواقع التي تعرفنا عليها، و بقيت مواقع عديدة لم نتوصل إلى معرفتها، و لعلها اندثرت مع الأيام.

(ب) و لما كان الرجل يعنى بالتجارة لذا نراه يهتم كثيرا بالموازين و المقاييس و التقود المتداولة فى أهم المدن التى حل بها، فخصص فصلا بهذه الأمور عن كل من: بغداد و البصرة و مضيق هرمز، و قارنها بما يعادلها بحساب حلب لأنها منطقة معروفة، و بالبندقية لأنها موطن التجار المحليين.

(ج) و نوه أيضا بالأمكان التى يجب دفع الرسوم فيها، و مقادراها، و الهدايا التى يجب على التجار أعدادها و تقديمها إلى رؤساء العشائر و أكابر القوم فى تلك المدن لتسهيل أمرهم.

(د) و لهذه الرحلة أهمية جغرافية كبيرة، فقد توسع كاتبها بذكر أسماء المدن و القرى كما أسلفنا، لذلك استفاد منها الجغرافيون و مصممو الخرائط من المعلومات الواردة فيها، خاصة بما يتعلق بالعراق.

(ه) نلاحظ أن بالبي اقتبس فقرات عديدة من كتاب رحلة مواطنه فيدرىجى البندقى الذى سبقه إلى الشرق بأعوام

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٢

قليلة، و كان حينًا يركز عند ما طبع بالبي رحلته، و لا نجد تفسيراً لهذا الأقتباس و النقل الحرفى أحياناً، إلا أن يكون قد وجد نقصاً فى بعض مراحل رحلته فالتجأ إلى النقل لملء الفراغ، و لعله استأذن صاحبه و مواطنه فيدرىجى.

(و) علينا أن ننظر إلى ما كتبه ضمن الإطار التاريخى عند ما كانت تتنافس للسيطرة على العراق قوات غريبة حاكمة كانت تعمل على انهاك المجتمع العراقى و تفتت روح المقاومة و التصدى لديه.

طباعات الكتاب

(أ) بعد عودة بالبي إلى وطنه انكب على كتابة أخبار رحلته ثم نشرها سنة ١٥٩٠ فى البندقية، و اضعا لها عنواناً طويلاً مشوقاً: «رحلة إلى الهند الشرقية للجوهري البندقى كاسبارو بالبي التى تحتوى على ما رآه خلال تسع سنوات بين ١٥٧٩ إلى ١٥٨٨ مع الحديث عن الضرائب و الأوزان و المقاييس فى كل المدن خلال تلك الرحلة .. البندقية ١٥٩٠، عند الناشر كاميللو بوركومينيرى ..» و كان الكتاب فى ١٥٩ صفحة.

فى سنة ١٦٠٥ ظهرت الرحلة بالألمانية فى فرانكفورت، و فى السنة التالية نشرت باللاتينية فى المدينة نفسها، لأن هذه اللغة كانت مفهومة لدى المثقفين فى سائر

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٣

بلدان أوروبا فى ذلك العهد. ثم ترجمت إلى الهولندية و طبعت فى لندن سنة ١٧٠٦ بقطع صغيرة تحتفظ مكتبة المتحف العراقى بنسخة منها.

ثم ظهرت الرحلة مختصرة بالإنكليزية و طبعت فى لندن سنة ١٦٢٥ و قد أهمل المترجم القسم الخاص بالعراق.

و طبعت الرحلة مرات عديدة بالإنكليزية و الهولندية، لكنه لم يعد طبعها بالإيطالية إلا فى القرن العشرين عند ما تصدت الباحثة الإيطالية أولغا بينتو Olga PINTO لهذا العمل فنشرت رحلة بالبي مع رحلة فيدرىجى بالعنوان الآتى:

Viaggi di C. Federic G. Balbi alle Indie Orientali a cura di Olga Pinto, Ist. Polig. Dello Stato, Roma Il Nuovo ٢٣٩١

و طبعت ثانية سنة ١٩٦٢ ضمن سلسلة عنوانها Ramusio IV و قد علقت الباحثة على النص بهوامش كثيرة، معظمها تفيد القارئ الإيطالى، و ما أخذته عنها ذكرته بأسمها الصريح. فأنى كنت قد صورت هذه الرحلة عن نسخة المكتبة الوطنية فى روما سنة ١٩٨٤ ثم علقت على ترجمتها بعد عودتى إلى العراق و انهيت الترجمة سنة ١٩٨٥ و أخيراً قدمتها للطبع فى هذه السنة.

(ب) بعد أن فرغت من ترجمة النص، وجدت فيه أموراً عديدة غير واضحة و تحتاج إلى شرح لذا وضعت الهوامش التى رأيتها مفيدة للقارئ.

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٤

(ج) إن لغة الرحلة عادية و تفتقر إلى الجمالية، و يكثر بالبي من استعمال التعابير العامية المحلية الدارجة المستعملة فى مدينة البندقية.

(د) ذكر الأستاذ كوركيس عواد، رحمه الله، فى بحثه المرسوم: «المعرب من كتب الرحلات الأجنبية إلى العراق»، مجلة الأقلام، (١٩٦٤) ص ٥٧-٥٨ أن القس (البطريك فيما بعد) بولس شيوخو (ت ١٩٨٩) كان قد ترجم هذه الرحلة إلى العربية تلبية لطلب

الأستاذ يعقوب سرقيس (ت ١٩٥٩) الذي كان يهتم إهتماما عاليا بكتب الرحلات الأجنبية ولا أعلم بمصير تلك الترجمة لكن سرقيس نوه بأن له ترجمة الرحلة ولم يذكر اسم مترجمها ودعا «غاصبارو» (مباحث عراقية ٣: ٧٧).
 (ه) ورد ذكر هذه الرحلة في كتاب: «أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث» لمؤلفه ه. لونكريك (ط ١٩٦٨ / ٤، ص ٣٩٧) و كتابه المعرب: «غاصبارو» وفي كتاب «مباحث عراقية» ليعقوب سرقيس ١: ٢٦٥؛ ٣: ٧٦-٧٧ وفي كتب أخرى سننوه بها في محلها.
 (و) وضعنا للكتاب فهرس متعددة: الأماكن والأعلام... لترشد القارئ إلى أهم مواد الرحلة.
 (ز) أسعدنا الحظ قبل سنوات بالتعرف على الأستاذ
 رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٥
 المحامي فرحان أحمد سعيد الذي ساعدني للتوصل إلى معرفة أسماء بعض الأماكن المشوه لفظها في الرحلة.
 (ح) إن الطبعة الإيطالية للرحلة خالية من الرسوم، أما الطبعة الهولندية ففيها رسوم.
 د. بطرس حداد

رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٧

رحلة الجوهرى البندقي كاسبارو بالبي إلى الهند الشرقية

إشارة

رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٩

الفصل الأول طريق الرحلة من البندقية إلى حلب

لما كانت الرحلة أو الطريق البحري بين وطني أي مدينة البندقية وبين مدينة حلب معروفة جيدا لدى الجميع، ارتأيت إلا حاجة للتوقف عند وصفها لكثرة السفن والمراكب التي تمخر البحر إنطلاقا من هذه المدينة الشهيرة إلى تلك المدينة الشرقية.
 لهذا السبب قررت أن أبدأ بالتحدث عن رحلتي إنطلاقا من حلب إلى بغداد، ومن ثم إلى الهند الشرقية حتى بيكو. ولكي يكون الوصف واضحا، ساقسم رحلتي إلى عشرة أقسام أو أبواب، وبهذا نتخلص من أي أشكال يحول دون فهم مراحل سفري.
 رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٢٠
 ولهذا أقول: إن الطريق المسلوكة عادة، وهو الأكثر أمنا يبدأ من حلب إلى بغداد، ومن بغداد إلى البصرة، ومن البصرة إلى هرمز، ثم إلى ديو، ومنها إلى كيافول، ومن كيافول إلى غوا، ثم إلى كوجي، ومنها إلى سان تومي، ثم إلى بيكو، وأخيرا من بيكو إلى مرتبان.

رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٢١

الفصل الثاني وصف الرحلة من حلب إلى بغداد بدء السفر

إشارة

أعلم أيها القارئ أنني غادرت حلب متوجها إلى بغداد في الثالث عشر من شهر كانون الأول سنة ١٥٧٩ مع تجار كثيرين منهم نصارى وآخرون من أتباع الأديان الأخرى.
 فحملنا الأموال والبضائع على عدد كبير من الجمال والبغال؛ وبعد أن أقمنا كلنا الصلاة، امتطينا الخيول.
 وفي مساء اليوم الأول وصلنا إلى قرية تدعى «الباب» Bebbe حيث أمضينا ليلتنا الأولى من الرحلة.
 في صباح اليوم التالي رحلنا من ذلك المكان قبل انبلاج الصباح بثلاث ساعات و تابعنا سيرنا. وفي المساء
 رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٢٢
 أرتحنا في مكان هادئ يسمى «ساجور» Saguir، وغادرنا ذلك الموضع في صباح اليوم التالي قبل شروق الشمس بساعتين. وبعد أن سرنا طوال النهار وصلنا إلى «البيير» Albir التي تقع على شاطئ الفرات الأيسر، فتوقفنا هناك؛ وقبل أن نعبّر النهر لنمضي إلى تلك

المدينة، أنزلنا أحمالنا في الجهة اليمنى من النهر و عملنا على تعبيرها بواسطة قارب سبق أن طلبنا إعداده في «بيره جك» لهذه المهمة. و لما لم نكن بما من في ذلك الموضوع أسرعنا بأكمال هذه الأمور إذ يتوجب علينا الحذر الشديد من اللصوص، و لا سيما أن الليل قد جن، لذلك عبرنا رجالا آخرين إلى جانب أولئك العاملين معنا من أجل الإسراع في تحميل البضائع، و في ضوء الشموع حملنا بأسرع وقت أمتعتنا و عبرنا النهر إلى الجهة اليسرى حيث مدينة «بيره جك». و هناك أوقفنا قاربنا عند بيت صاحب القوارب المدعو «مصطفى» الذي تعهد لنا بأن يقودنا إلى موقع آخر يسمى «الفلوجة» يبعد عن بغداد مسيرة يوم واحد.

ما إن توقف القارب عند بيت الرجل، حتى أخرجنا

رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٢٣

الخيمة التي كنا قد أعدناها خصيصا في حلب لتغطية القارب كله من كوثله إلى مقدمته. و لما كان المناخ باردا فنحن الآن في الخامس من كانون الثاني، لم نستطع تحمل البرد القارس، لذا ابقينا أربعة رجال في المركب يقومون على حراسته نهارا و ليلا. أما نحن فقد ذهبنا و نزلنا في دار مصطفى حتى يحين موعد سفرتنا. و كان الرجل - و الحق يقال - مضييفا و رفيقا كريما، فبذل قصارى جهده من أجل راحتنا في بيته، و إعادة الطمأنينة إلى نفوسنا لطرده الأفكار السوداء عنها، لأن الخوف كان قد دب إلى قلوبنا مصحوبا بالقلق في الليالي الثلاث السابقة إذ كنا بين حلب و بيره جك نخشى أن يداهمننا القتل بين لحظة و أخرى، فقد قيل لنا أن ذاك الطريق خطر و يعج بأعداد كبيرة من اللصوص. و قد بلغنا إذ كنا في حلب قبل أن نبارحها بأربعة أيام أن قافلة محملة بالحرير داهمها اللصوص فسرقوها و قتلوا ثلاثة رجال منها و جرحوا اثنين. لكن ذلك لم يحدث لنا، فدلينا انكشارى و هو رئيس القافلة، و في ركابنا عدد

رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٢٤

كبير من المسلمين، المقتدرين.

مساء السادس عشر (من كانون الأول) وضعنا بضائعا كلها و امتعتنا في مركب مصطفى، ثم ذهبنا لتقديم الهدايا إلى سنجق مدينة بيره جك؛ و الهدية عبارة عن أربعة رؤوس سكر، و أربع شموع عسل يبلغ سعر الواحدة شاهيا، و الشاهي يعادل في نقودنا عشرين فلسا. كما قدمنا قطعا من صابون حلب. و أعطينا للكخذاء التابع للسنجق رأس سكر واحدا و شمعتين و قليلا من صابون حلب. و هكذا فعلنا نحو الأمين الذي كان يستوفى الرسوم في ذلك المكان، إذ قدمنا له رأس سكر و قالب صابون.

بقينا في ذلك الموضوع إلى ٥ كانون الثاني (١٥٨٠)

رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٢٥

منتظرين وصول خمسة مراكب طلبت الرحيل بصحبتنا. و في مدة الانتظار هذه عانينا كثيرا من البرد القارس و الثلوج.

وصف قوارب بيره جك

لما كنا قد تحدثنا أكثر من مرة عن مراكب هذه البلاد التي استعملناها، فلا بأس أن نتوقف قليلا في وصف طريقة صنعها. و سأخص بالذكر المركب الذي استقلناه في بيره جك.

تصنع قوارب بيره جك من قاع مزدوج الألواح لكي لا تغرق بسهولة في حالة اصطدامها. و فوق هذه الأرض المزدوجة تصف المساند أو العطفات الواحدة غير بعيدة عن الأخرى، ثم تثبت الألواح الخشبية على الجهتين بحيث توضع الخشبة الواحدة فوق الأخرى مسافة أصعب أو أصعبين، ثم يسدون الفراغات بالقطن حيث نستعمل نحن القنب.

لا يستخدمون السارية في هذه المراكب. و يصنعون مقدمتها دقيقة إذ تنتهي بزاوية حادة، على شاكلة القوارب التي نسميها عندنا «بوركيللي» لكن مقدمه هذه أعلى. أما

رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٢٦

المؤخرة أي الكوثل فتكاد تكون مقطوعة رأسيا مع شيء من الاستدارة. فهي تشبه مراكبنا التي نسميها «بياتي».

و فائدة الاستدارة هي لإفساح المجال للدفة التي تتكون من قطعة خشب مدورة فيها شق يثبت فيه المردى المصنوع من لوح خشب عريض له نهاية أشبه ما تكون بالرفش و تتم قيادة المركب بهذا اللوح الذي يحركه الربان يمينا و شمالا، أو قد يسحب إلى سطح الماء بحسب الحاجة. و قطعة الخشب مثبتة بتوازن، و في رأسها فتحة كبيرة يدخلون فيه قطعة خشب تمتد من الكوثل حتى منتصف المركب حيث يجلس صاحبه الذي يديره. إنه و الحق يقال تصميم غريب، من لا يراه بعينه لا يستطيع أن يتصور شكله. و هناك في المركب

أيضا خشبتان الواحدة في المقدمة و الثانية في المؤخرة تربطان جانبي المركب فتزيدان من متانته، و يجلس عليهما الملاحون على شاكلة السجناة قديما . أما المجاديف فهي أعواد طويلة و في آخرها قطعة خشب عريضة مثبتة فيها.

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٢٧

بعد أن وصلت المراكب التي كنا ننتظرها، و بعد أن أدينا ضريبة مقدارها ١٩ بندقيًا عن كل مركب، فهذا هو الملغ المحدد هنا، تعاملنا مع أربعة ملاحين لتسيير مركبنا لقاء ثلاث بنديات لكل واحد منهم على أن يوصلونا إلى مدينة «عنه» و أن نتحمل المصاريف الأخرى الواجبة علينا تجاههم.

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٢٩

الرحيل

أطلقنا من «بيره جك» في منتصف النهار، فذهبنا و توقفنا عند قرية غير بعيدة منها تسمى «كفرى» Caffra و تقع على ضفة النهر اليمنى.

و في اليوم السادس من الرحلة إنطلقنا من هناك و سرنا طوال النهار، فوصلنا عند المساء إلى موضع يقال له «مكساره» Cerchis Maxara و يقع على الشاطئ الأيسر من النهر، و قابله على الضفة الأخرى موضع يقال له «جركيس» فتوقفنا هناك بانتظار المراكب الثلاثة المرافقة لنا التي أرطمت بقاع النهر بسبب حمولتها

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٣٠

الزائدة، فتوجب علينا إرسال رجل إلى بيره جك لطلب سفينة أخرى لكي نخفف من حمولة السفن المذكورة. التحقت بنا أخيرا تلك السفن مساء اليوم الثامن من الشهر، و كانت أحداها في حالة يرثى لها لكثرة الماء المتسرب إليها من جراء اصطدامها بالصخور الكامنة تحت الماء. فأسرع ملاحونا يمدون يد العون إلى أولئك الرجال، و أمضوا الليل كله في العمل على إخراج الماء منها. و بعد تعب و جهد كبيرين تمكنوا من اصلاحها و إعادتها إلى حالة مقبولة. و في تلك الأثناء وصلت سفينتان من بيره جك محملتان بالرصاص و وجهتهما بغداد و كانتا تحت قيادة جاويش ، و كان الرصاص مخصصا لحامية بغداد من أجل صنع العتاد.

ثم قدمت سفينة أخرى كانت تقل شخصا مهما برتبة «بيك» إلى البصرة.

بهذه المناسبة لا بد من التحذير بعدم تحميل المراكب أكثر من طاقتها، فهناك احتمال كبير للاصطدام بالصخور أو بجذوع الأشجار الكبيرة المخفية تحت الماء و التي لا ترى عادة.

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٣١

بقينا في ذلك المكان إلى اليوم الحادى عشر من كانون الثانى. ففي صباح ذلك اليوم انطلقنا كلنا معا لنكمل السفر. و عند المساء توقفنا عند موضع يقال له «تل ويوى» Tell euiui و هو على ضفة النهر اليسرى. تعبنا هناك إلى منتصف اليوم التالى و نحن نعمل من أجل سحب السفن المحملة التي كانت قد انغرزت في الرمال و أصبحت بخطر. و كم بقينا في ذلك اليوم! و مما زاد في تعبنا ذلك المناخ البارد و الأمطار و الثلوج و الرياح!

عند انتصاف النهار انطلقنا من هناك، و توقفنا عند المساء في موقع يقال له «متاو لنتاكي» Matao Lantache و يقع على الضفة اليمنى للنهر فأمضينا الليل هنا. و في الصباح، و هو اليوم الثالث عشر (من كانون الثانى) رحلنا من هناك، و بقينا نمخر عباب النهر طيلة ذلك النهار، ثم توقفنا في المساء عند موقع يسمى «قلعة النجم» Calatel negiur و هي قلعة قديمة مهجورة، فافوقنا مراكبنا عند الضفة اليسرى من النهر مقابل القلعة و ربطناها إلى الشاطئ.

في مساء اليوم التالى وصلنا إلى «سوق النصير» Zoxeniasir الواقعة على الشاطئ نفسه. و في ذلك اليوم

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٣٢

اصطدمنا مرتين مع اللصوص فقاتلناهم ببسالة. و حدث ذلك أننا أدنينا مراكبنا من الشاطئ فحاول هؤلاء سرقتها، فأسرعنا و تصدينا لهم بالبنادق و السهام و مختلف الأسلحة المتيسرة عندنا. و بعد هذا الحادث توجب علينا اليقظة خاصة في تلك الليلة لأن أولئك الناس لا مصدر لهم للعيش غير السرقة!

إنطلقنا من ذلك المكان حتى حل المساء فتوقفنا في موضع يسمى «ميسارافي» Miserafi و هو على شاطئ النهر الأيمن. و في اليوم التالي ذهبنا من هناك إلى قلعة «باليس» Beles التي تقع على الضفة اليسرى للنهر. و كان البرد شديدا للغاية، و قيل أن في ذلك الموضع أناسا قتلته، فأستولى علينا خوف عظيم.

في السابع عشر من شهر كانون الثاني أكملنا الرحلة فوصلنا إلى «بليس» Blis و تقع على ضفة النهر اليسرى، و تكثر في ذلك الموضع القيعان الرملية الضحلة، و الموانع الصخرية و جذوع الأشجار المغمورة في المياه. و لهذا تعبنا كثيرا في ذلك اليوم من إنزال البضائع إلى اليابسة تارة و إعادتها إلى السفن تارة أخرى، أو نقلها من هذه السفينة رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٣٣ إلى الأخرى عندما كنا نلاحظ أنها في موقع ضحل، لأن سفننا في الواقع كانت محملة أكثر من طاقتها و كان من المفروض علينا أن نخفض من الحمل و لكن ما العمل؟

و بسبب هذا التحميل المفرط تسربت مياه قليلة إلى داخلها، خاصة إلى جوف سفينتنا، و بالرغم من كونها حديثة الصنع، فلم يحل ذلك دون دخول المياه إليها، و حاولنا معالجة الموقف بهمة و إنتباه مستمرين.

لم نرحل من ذلك الموضع حتى صباح الثامن عشر من الشهر نفسه، و في المساء جئنا و نزلنا في «مليو زراعة» Meliolzura و هو موضع يقع على ساحل النهر الأيمن.

و حدث في ذلك اليوم أننا فقدنا إحدى السفن و كانت بقيادة «خوaja بكر» لأنها اصطدمت بجذع شجرة كبيرة فغرقت، و فقدنا من جراء ذلك حاجيات كثيرة. و في هذه الأحوال أسرع سفينتان في الجري و الابتعاد لكي لا تأخذا شيئا من البضائع الغارقة، و هكذا فمن السفن الست بقيت أربع في تلك الأماكن الموحشة و الخطرة جدا لكثرة ما فيها من لصوص ظهرها بعتة و حاولوا التحرش بنا و التقاط المواد الغارقة، لكننا قاومناهم بطلقات نارية من بنادقنا، و استطعنا

رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٣٤

استرجاع بعض البضائع الغارقة فوضعناها على ما هي عليه في حالة مزريه في قارب كنا أخذناه معنا، و أخيرا بعد جهد جهيد أستطعنا سحب تلك السفينة.

في الحادي و العشرين من الشهر تم إصلاح السفينة ثم سحبت إلى جانب سفننا و حملناها بالبضائع التي كنا أنقذناها من الغرق، و لو أنها كانت أقل بكثير من تلك التي ضاعت في لجج النهر.

رحلنا من هناك في الثاني و العشرين، فسرنا طوال النهار، و عند حلول المساء ذهبنا و توقفنا في موضع يدعى «قلعة جابر» Chalagiabar الواقعة على جانب النهر الأيسر. أما في مساء اليوم التالي فقد جئنا إلى «الحمام» Alaman. و في مساء اليوم التالي نزلنا في «سوريش» Suriech بعد أن مررنا خلال النهار بحصن يقال له «بلد سوريا» Beletsurie فتركناه وراءنا.

رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٣٥

في اليوم الخامس و العشرين رحلنا حالا و اتخذنا موقعا لنا على الضفة اليسرى في موضع يقال له «الرقه» التي تقع في أرض منبسطة، و فيها قلعة ضمن حصن. و يحكم الرقه سنجق تركي. فبقينا هناك مدة و لم نغادرها إلى يوم ٢٨ من ذلك الشهر لأن السنجق المذكور أرسل عددا كبيرا من رجاله مطالباً بحصته من الأقمشة الصوفية. فلما أجنبناهم بأننا لا نملك ما يطلبون، شرعوا بقطع جبال أي الحزم بشراسة، و التفتيش فيها لعلهم يعثرون على مبتغاهم، فوجدوا في إحدى الحزم أربعة أطوال قماش أحمر اللون، فأخذوا واحدا إلى السنجق فقص حالا سبعة أذرع ليصنع منها جبة يرتديها عند ركوبه الحصان، و قال انه مستعد لدفع الثمن الذي حدده بنفسه، و هو أربع بندقيات للذراع الواحد لا أكثر.

و حدث في صباح اليوم التالي انه شرع يطالب باتاوة على الطريقة المتبعة محليا، لعله أراد من وراء الحاحه انتزاع طول القماش كله، مدعيا بضرورة دفع ضريبة عن كل السلع التي كنا نحملها على أن تكون النسبة خمسة بالمائة من

رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٣٦

قيمتها، بينما كانت العادة تأدية ١٨ شاهيا عن كل سفينة، مهما كانت تحمل من بضائع. و بعد أخذ ورد و احتجاج التجار كلهم عربا و أتراكا الذين قالوا بأن هذا الأمر لم يحدث من قبل، و انه سيلحق بهم ضررا فادحا، اقتنع أخيرا بوجهة نظرهم. مهما يكن من أمر فإن الرجل لم يرجع القماش الذي أخذه، و لم يدفع الثمن .

رحلنا من هناك لثلاث ساعات، فنحن غرباء في تلك الديار وليس لنا من يدافع عنا. وفي المساء وصلنا إلى «الحمراء» Elamora و تقع على ضفة النهر اليمنى، حيث أخذنا قسطا من الراحة في تلك الليلة.

وفي صباح اليوم التالي وهو ٢٩ من ذلك الشهر، واصلنا السفر إلى «أمان» Aman حيث وصلناها عند المساء، فتوقفنا هناك إلى الساعة الثانية من صباح اليوم التالي، لأن سفننا كلها ارتطمت في الرمال في محل مليء بجذوع الأشجار المخفية تحت الماء. ولأن الخوف من اللصوص كان مهيمنا علينا جميعا لذا عاون بعضنا بعضا للأسراع في إنهاء العمل والتخلص من تلك المحنة. وفي رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٣٧

المساء وصلنا إلى «خوجا أبو العيناء» Auagia Abulena وفي مساء اليوم التالي اتينا «القصبه» Casabi وهي على ضفة النهر اليمنى.

في صباح اليوم التالي وهو الأول من شباط، وبعد أن قطعنا ثلاث ساعات من النهار، رأينا قلعة مهملة ومدينة مقفرة تسمى «جلبي» Celibi وتقع على الضفة اليمنى، وبعد قليل وجدنا قلعة متهدمة تسمى «سليبي». Zelebe.

في الساعة ٢٢ من اليوم ذاته مررنا بمحاذاة جبل عظيم كان منظره يوحي إلينا بأنه سيقع علينا بين لحظة وأخرى لأنه كان مقعرا في أسفله، ولم يبق بيننا من لم يجزع من منظره، فالكل في الواقع يخاف على الحياة والمال وما زاد في خوفنا رؤيتنا كمية كبيرة من الصخور الضخمة كانت قد سقطت في النهر من ذلك الجبل المخيف، وحجارة عظيمة على جوانبه تهدد بالإنهيار لأنها تبدو للناظر عنه وكأنها غير متعلقة بشيء. واستغرقت مدة العبور تحت الجبل نحو نصف ساعة.

عند حلول المساء توقفنا في الضفة اليمنى من النهر،

رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٣٨

فالضفة الأخرى يسرح فيها ويمرح عدد كبير من اللصوص، وقد فهمت بأن هذا الجبل يسمى «الطرف الطويل». Eltoref trouil. رحلنا من هناك صباح اليوم التالي، أي الثاني من شباط، فواصلنا السير إلى منتصف النهار، ومررنا بموقعين منحدرين تكثر فيهما الصخور المتساقطة من الجبل المذكور آنفا ولذلك ارتفع هناك مستوى الماء نحو قمتين بالنسبة إلى يليه. فقبل أن نجتاز من هذه الجهة الأخرى، أي قبل اجتياز المنحدر المائي، رفع كل منا صلاة إلى الله مستمدين العون والمضي في رحلة أمينة. ولقد أظهر الملاحون بالحقيقة إهتماما بالغا فحافظوا على إستقامة السفينة. أما السفن الأربعة الأخرى. فقد ارتطمت قليلا بالصخور بسبب حملتها الزائدة فلتحق بها عطل خفيف. وفي المساء توقفنا عند ضفة النهر اليمنى في مدينة تدعى «الدير» Elder وكانت تسمى قديما «ميناء السلسلة» و يقيم في هذه

رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٣٩

المدينة سنجق تركي وقاض. وهي عامرة بالسكان من رجال أشراف ونساء بارعات الجمال لهن بشرة بين بيضاء وسمراء وهن أكثر جمالا من أي موضع آخر في تلك الأرجاء .

رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٤١

دير الزور

من عادات القوم في هذه المدينة تقديم هدية إلى السنجق والمتقدمين في بطانته. وإلى المسؤولين كافة في البلدة. وعملا بهذه العادة فقد أرسلنا مساء ذلك اليوم إلى السنجق ثلاثة رؤوس سكر وأنتى عشرة قطعة صابون، كما أرسلنا عشرين قطعة صغيرة من الصابون وهدايا أخرى إلى الباشوات، مع صحن عامر بالزبيب، وعشرة قطع صابون وقالب سكر. و فعلنا الشيء نفسه للكتبخدا إذ بعثنا له قطعتي صابون عن كل سفينة من سفننا. ولقاء هدايانا هذه نلنا التفاتا كريما من قبل السنجق، الأمر الذي لم نحظ به في أي مكان آخر خلال رحلتنا في الأيام السابقة.

مدينة الدير هذه كانت تسمى قديما «ميناء السلسلة» و بقدر ما أستطيع فهمه أن هذا الاسم اتخذ معناه من

رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٤٢

الصخور العظيمة التي مررنا بها وتقطع النهر في أكثر من موضع وهي أشبه ما تكون بالحواجز. ومن المؤكد أن هذه الحواجز قديمة، فلقد رأيت في مواضع عديدة من تلك الصخور مسامير مثبتة فيها لها رؤوس متجهة عكس مجرى الماء، وبعض تلك المسامير كانت

كبيرة جدًا. و هي مغمورة تحت الماء بمقدار ذراعين، و قيل لى أن ذلك هو من عمل الأقدمين الذين إذا داهمهم الأعداء فى سفن منحدره مع مجرى الماء تصطدم بهذه الحواجز المخفية و لا بد لها أن تغرق.

و لما كنا قد أدينا ما علينا من رسوم فى تلك المدينة، و هى ست بنديات (و هى العملة كما أسلفنا)، و قطعيتين من فئة المويدي عن كل سفينة، لأن هذا هو المبلغ المحدد عن أى نوع من البضائع.

فى صباح اليوم الخامس من الشهر المذكور رحلنا من

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٤٣

هناك فمررنا فى موضع ضيق أو حاجز من الصخور، و كانت المسافة بينها ضيقة جدًا، حتى أن السفن بالكاد استطاعت المرور بينها، بعد أن لامستها قليلا من الجانب الأيمن، و لحق بها هناك أذى بسيط لكنه لا يذكر. و أكملنا السير طوال النهار حتى توقفنا عند المساء

لترتاح من السفر فى الجانب الأيسر من النهر فى موضع يقال له «مواكزير» **Muachesir**.

برحنا ذلك المكان فى صباح اليوم التالى، و فى الساعة الرابعة رأينا مدينة قديمة مهملة واقعة على شاطئ النهر الأيسر و تسمى «البصيرة» **Elpisara** و بعد ساعة وصلنا عند نهر يسمى الخابور و يصب فى نهر الفرات، أما منبعه ففى مدينة تسمى «ماردين» و

يختلف لون ماء هذا النهر عن لون ماء الفرات، إذ يميل قليلا إلى الحمرة، و يقولون أنه صالح للشرب و صحى.

فى الساعة السابعة من النهار رأينا قلعة عن يميننا يقال لها «الرحبة»، و تخضع لسنجق الدير و بقرب تلك القلعة

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٤٤

توجد مدينة متهدمة لا يزال بعض الناس يعيشون فى بعض أحيائها تسمى «الرحبة العتيقة» .

توقفنا هناك ساعتين لנסاعد فى ائزال حمولة إحدى سفننا، لأنها كانت محملة أكثر من طاقتها زيبيا و تينا و حديدا. و فى المساء توقفنا

عند الضفة اليسرى من النهر، و ربطنا السفن بسلاسل قرب موضع يقال له «سوق السلطان» **Zoxosuldan**.

رحلنا من هذا المكان صباح اليوم التالى، فسرنا ثلاث ساعات حتى وصلنا إلى مكان يقع على يميننا يقال له مدينة «القسارة» و يحكمها سنجق تركى، أستوفى منا شاهيين عن كل سفينة، فضلا عن الهدية المعتادة، إذ أرسلنا له صحننا مليئا بالزبيب، و خمس قطع صابون و

جرة خمر، و أرسلنا للباشا التابع له ثلاث قطع صابون.

فى مساء ذلك اليوم وصلنا إلى «كورور» **Gorur** و هى قلعة واقعة على ضفة النهر اليمنى، و كان الريح معاكسة لنا

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٤٥

طوال ذلك اليوم و بالرغم من الجهود الجبارة التى بذلها الملاحون فقد كانت المسافة التى قطعناها قصيرة جدًا، و لم تهدأ الرياح إلا مع حلول المساء.

فى الساعة التاسعة من صباح اليوم التالى، و هو الثامن من شباط، مررنا أمام جبل جرفت المياه القوية قاعدته، و يقال له جبل «كرتون» **Carteron** و موقعه على ضفة النهر اليمنى، و كان منظره يوحي إلينا بأنه سيقع علينا بين لحظة و أخرى، لذا اتنا خوف

عظيم خاصة عند رؤيتنا كتلا كبيرة من صخره ساقطة فى ثلاثة مواقع من النهر. و كان مجرى الماء قويًا. لكننا أستطعنا التخلص من ذلك المكان برع ساعة. قم رأينا أطلال مدينة مهملة تسمى «روللى».

Heldegi الواقع

اليمين. و فى مساء اليوم التاسع وصلنا إلى قلعة تسمى «سورة» **Sora** فأمصينا ليلتنا هناك داخل السفن بعد أن أوقفناها و ربطناها عند تلك القلعة. و لا تبعد هذه القلعة كثيرا عن آثار مدينة كبيرة متهدمة واقعة على الجانب الأيسر من النهر فوق تل قليل الارتفاع مسح

القمة. إن أنقاضها الكبيرة تحملنا على الظن بأنها كانت مدينة عظيمة، و فى اعتقادى أنها أكبر بكثير من القاهرة فى مصر. و قد فهمت من الملاحين أنهم سمعوا من شيوخهم أن هذه المدينة كان لها ٣٦٦ بابا، تدعى هذه المدينة

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٤٦

«الأرسى» **Elersi** لقد نال منها الخراب كثيرا، و لا يشاهد فيها الآن سوى بقايا أسوارها الضخمة و أبراجها العالية. لقد كانت واسعة الأرجاء بحيث أننا مررنا بمحاذاتها منذ الصباح و لم نستطع أن نترك وراءنا جانبا واحدا من تلك المدينة قبل انتصاف النهار، مع العلم

أن التيار كان حسنا و كنا نستعمل أربعة مجاديف. إن هذا و الحق يقال شىء لا يصدق.

ليس هذا فحسب، فقد أخبرنا أيضا بالنسبة إلى الأبواب ثلاث المئة و الستة و الستين، إنه عند كل باب كان يقف قبان، و يعنى بلغة البلد الرجل الواقف عند الميزان، و كل قبان يساعد ستة رجال، و ما عدا هؤلاء كان فى داخل المدينة آخرون لتسهيل عمليات الوزن.

من هذا كله يستنتج مدى ما كانوا يتعاطونه من التجارة.

بعد منتصف النهار رأينا على بعد ثمانية أميال من مدينة «الأرسى» أنقاض مدينة أخرى متهدمة و مهمله تسمى «عنقا» Anga و تدل الآثار الباقية على أنها لم تكن كثيرة السكان و واسعة الأطراف، لكنها كانت تملك عددا كبيرا من

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٤٧

النواعير، بعضها عند النهر و بعضها الآخر فى الداخل.

و احصينا عددها فرأينا فى الأقل عشرة على النهر و فى الداخل، و من هذا نستنتج أن الفرات كما هو حالها يسير فى مجرى يختلف عما كان عليه فى الماضى، فتوسع أكثر مما كان فى الأزمنة الغابرة عندما كانت تلك المدن مأهولة بالسكان.

فى الساعة ٢٢ شاهدنا برجاً فى مدينة القائم .

و فى الساعة ٢٣ رأينا جهازاً غربياً مكوناً من ثلاث دوائر كان يسحب الماء من النهر و يصبه فى ساقية من أجل سقى الحقول .

توقفنا مساء للاستراحة عند ضفة النهر اليسرى، و يقال لذلك الموضع «سيما»، Sema و هناك داهمنا برد شديد طوال الليل .

و فى اليوم التالى و هو الحادى عشر من شباط، بعد ساعة من النهار وجب علينا أن نعبث ثلاث فتحات ضيقة فى النهر قريبة من موقع أبنية كبيرة متهدمة، و قد هوت على

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٤٨

جانبي النهر، فعبثنا ذلك المكان يانتباه كبير و قد سيطر علينا الخوف من خطر الغرق فى النهر.

بعد قليل رأينا قصراً فخماً يسمى «كابل جلى» Capilchelbi، و فى نحو الساعة الرابعة صباحاً رأينا عن يميننا «الروضة فوق الكرم» Araudi Fochelcurmi، و يوجد بالقرب من هذا الموضع مضيقان لا يقلان خطراً عن المضيق السابق.

عند منتصف النهار وصلنا إلى حصن يقال له «الدير» Eldir و يقع فوق تل جميل على ضفة النهر اليسرى، و بعد قليل توقفنا فى موضع يسمى «رقة الميل» Rechtalmel منتظرين هدوء الرياح لأنها كانت تهب عكسنا. و بعد أن أكملنا الإنحدار مررنا بناعورين متقابلين

أى الواحد إزاء الآخر، و كانت نحو الساعة ٢٢ ثم أتينا إلى موقع يدعى «زعفران». Zafara.

نهضنا عند الصباح و بارحنا ذلك المكان، فسرنا طيلة النهار، مارين بواحد و ثلاثين موضعا ضيقا كالذى وصفته آنفا. و فى الثانية عشرة قدمنا إلى موضع قالوا أن فيه مئوى

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٤٩

أحد الأولياء الذى يلقي منهم الأكرام كما نكرم القديسين فى ديارنا. و قد رمى الملاحون فى ذلك المزار رغيفا عن كل واحد منهم تقرباً، إذ قالوا: إن قوارب محملة بالقمح مرت من هناك فلم تقدم بحارتها شيئاً للمزار فغرقت حالا فى ذلك المكان .

و فى الساعة ٢٣ من ذلك اليوم وجدنا قرية تسمى «الكرخى» Elcuxi و كانت عن يسارنا. و بعد قليل رأينا قصبه مأهولة بالناس تسمى «الميزتانا» Elmesetana حيث أمضينا تلك الليلة.

فى الساعة الحادية عشرة، و بعد أن سرنا ثلاث ساعات، مررنا بمنحدر قوى جداً هو أخطر ما رأينا حتى الآن . لكننا نجونا و مررنا بسلام بفضل الصلوات الحارة التى رفعناها إلى الله.

بعد أن عبرنا ذلك المنحدر بدأنا نمر بمواضع مأهولة من بيوت و أبراج و نخيل و بساتين و غير ذلك من الأبنية.

و كانت هذه كلها قائمة عند سفح جبل لطيف جداً و تقابله فى النهر جزيرة صغيرة عامرة بالنخيل و غرسات البرتقال، و كانت على ضفة النهر اليمنى. و بعد مسافة قليلة من

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٥٠

الجزيرة المذكورة، و على الضفة نفسها، بدأنا نلاحظ بيوتا و أبراجاً و نخيلاً و بساتين و غير ذلك، ثم جزيرة أخرى تسبب السابقة لكنها أكبر منها، و كانت معظم ضفافها مسورة.

و رأينا عددا كبيرا من سكانها جالسين هناك على الأسور للتسلية.

و ما عدا ذلك توجد جزر أخرى مليئة بالأحراش و نباتات الوقود كالأطراف و العوسج. و هناك بيوت قائمة أيضا. كما رأينا على

اليابسة أعدادا كبيرة من أشجار البرتقال و الاترج و سائر الأشجار المثمرة. و بسبب كثرة الجزر و النواعير التى تبلغ أربعة عشر فى تلك المنطقة، لذا توجد منحدرات مائية خطيرة جداً على الجانب الأيسر من النهر.

رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٥١

بلدة عنه

أما قلعة عنه فلها على شاطئ النهر ثمانية عشر ناعورا، تؤوى هذه البلدة عددا كبيرا من قطاع الطرق (كذا). و هنا لا يسعني إلا أن أذكر أننا من بيده جك، تلك البلدة الصغيرة العامرة بالسلع حيث أخذنا السفن في نهر الفرات إلى هذا الموضع الذي هو قلعة عنه. استغرقت السفرة أربعين يوما كانت مليئة بالمغامرات والأخطار خوفا من الغرق تارة، و من الأعتيال تارة أخرى. مع العلم أن قطاع الطرق لا يقتلون بل يكتفون بالاستحواذ على المواد ثم يفرون. ولهذا فأنفع شيء لمثل هذه الحالة هو استعمال البنادق لأنها تدخل الفزع في قلوبهم.

رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٥٢

أبوريشة

يخضع هؤلاء لزعيم يدعى «أبو ريشة» الرجل القوي لكثرة الأموال التي ترده عن طريق الأتاوات. هذه المبالغ ليست جسيمة بحد ذاتها، لكنه يستوفي أموالا طائلة من كل ما تثمره الأرض، كما له حصه في مواليد الحيوانات. أما الأماكن التي ذكرناها و نزلنا بها لقضاء الليل في الأيام السابقة فمعظمها مقفرة، أو هي أحراش أو غابات أو جبال لا يأوى إليها سوى بعض قطاع الطرق، ما عدا: بيده جك و الرقة و الدير و قلعة باليس و الرحبة، و الرحبة العتيقة و عشاره و الكوخي و الميزتانا و القرى و قلعة عنه، فهذه الأماكن مأهولة و عامرة.

تقوم بجانب حصن عنه مدينة أشبه ما تكون بالجزيرة، فالماء يحيط بها من كل الأطراف إلا من جهة الحصن، و تسمى المدينة أرض ديانا، و يسكن في هذه المدينة أبو ريشة سيد العرب .

و قد أقام لإدارتها سنجقا عربيا يقال له «جر على» ؛

رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٥٣

أرسلنا إلى الزعيم- أي أبو ريشة- عشر قطع صابون، أما لصاحبه «جر على» فقد بعثنا إليه ست قطع و صحن زبيب، كما أرسلنا قطعتي صابون إلى أحد حراس «الأمين» و زوجي سكاكين المانية الصنع من النوع المعروف بأسم «سكالا». تكثر في هذه الأماكن أشجار النخيل و الليمون و البرتقال، و يسكن هذه الإنحاء خليط من العرب و اليهود و الأتراك. كما فيها- على ما قيل لي- عدد غير قليل من شاربي الكحول المدمنين، إذ أنهم يستهلكون في تلك البلدة كمية كبيرة منه .

رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٥٤

يحاول بعض الناس دائما المخادعة، تارة مع هذا و تورا مع ذاك لإنتزاع الأتاوات، و لا هم لهم سوى الحاق الأذى بالمستطرقين. و في سبيل المثال: وصل قبلنا إلى هناك مركب أخذوا من راكميه ستين قطعة من نقود البندقية دون وجه من العدالة. و حاولوا فعل الشيء نفسه معنا لو لا وجود بعض الأشخاص المتقدمين في رفقتنا منهم الخواجا سليمان و عثمان مكروس (مغروس، مجروس؟) و هما من أكابر القوم إذ كانا موضع أحتفاء حيثما مرنا، و لو لا وجودهما لتلقينا المعاملة نفسها- المهيمنة- في إنتزاع الأتاوات. مهما يكن من أمر فقد أجبرنا على منح الباشا التابع للزعيم قالي سكر و اثني عشرة صابونه. كما أعطينا الباشا آخر خمس عشرة صابونه، و إلى شيخ المدينة و هو الكتخدما ما يقارب ذلك. عندئذ توقفوا عن الألاحاح، و لم يطلبوا أكثر من المعتاد أي شاهيين عن الحمل الواحد من الأقمشة، أو ثمانية عشر من فئة المؤيدي للحمل الواحد، و كذلك عن الوبريات و القماش المسمى موكيارى.

في هذا الموقع أبدلنا الملاحين العاملين في مركبنا و في السفن الأخرى، فأمامنا خمسة أيام صعبة و خطيرة.

و أتفقنا مع الربان على أن ندفع له تسع شاهيات، و للملاحين

رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٥٥

ست شاهيات لكل واحد منهم، فضلا عن قالب صابون و صحن زبيب لكل واحد منهم أيضا.

في اليوم الرابع عشر- من الشهر- جاء «الأمين» ليستوفي المكس. فقبل أن يبدأ بعمله أسرعا فقدمنا له صحن زبيب و جوزا، و أعطيناها خمس قطع صابون و ثلاث صحنون زبيب؛ ثم أن كاتب «الأمين» أرسل إلينا على سبيل الهدية سمكتين، فأرجعناهما محملا بعشر قطع

صابون- كبيرة- مع قطع صغيرة من المادة نفسها.

ولما كان الخواجا سليمان قد غمرنا بأفضاله في هذا المكان، لا بل خلال الرحلة كلها. لذا قدمنا له عشرين قطعة صابون و صحن زبيب و مشطا من العاج. فبعث الرجل ساعيا لينبهنا بأن نسرع بالسفر لأن الصوباشى سيأتى بدوره إلينا ليطالب بأربعة أذرع من القماش الأحمر و عشر فينتيم و غير ذلك مما توحى إليه و قاحته! لذلك أسرعنا بالرحيل من هناك فإنطلقنا نحو الساعة الحادية و العشرين.

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٥٧

الفصل الثالث تكلمة السفر من عنه إلى جبه

غادرنا مدينة عنه، و ما أن أبتعدنا عنها قليلا حتى إضطررنا إلى عبور أربعة منحدرات صخرية حيث يجرى الماء بقوة كبيرة، فتملكنا خوف عظيم و فى هذا الموقف الحرج تحققنا من مهارة الربان الجديد و نباهة الملاحين.

أكملنا السير حتى المساء، و مررنا بتسعة مواضع ضيقة جدًا بسبب وجود النواعير القائمة هناك. أما البيوت فكانت عديدة متناثرة على عدوتى النهر، كما أن تلك الحقول كانت عامرة بأشجار النخيل.

و فى المساء أتينا إلى جزيرة فى الفرات تسمى «اناتلبس» Anatelbes حيث لا تزال تشهد آثار أسوار

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٥٨

سامقة إلى عنان السماء، أما شرفاتها فقد تهاوت على الرض. و قد أخبرنا الملاحون أن فى ذلك المكان كانت تقوم بلدة كمدن اليابسة لكنها سقطت على أثر زلزال مدمر فطمست أسسها فى النهر على الحالة التى رأيناها.

ثم نظرنا إلى الشاطئ الأيسر فرأينا برجاً، و أخبرنا الرجال أن الناس الذين نجوا من كارثة الزلزال الذى ذكرناه قبل قليل قد شيّدوا حصنا هناك و سكنوا فيه مدة طويلة من الزمن، لكنه لم يلبث أن تهدم فتركه ساكنوه و تفرقوا.

بقينا هناك بانتظار إحدى سفنتنا التى تأخرت فى عنه، فأنضمت إلينا فى الخامس عشر من الشهر. و فى الساعة الرابعة صباحا انتقلنا من هناك تاركين على الضفة اليسرى غابة نخل و موضعا مأهولا بالسكان و عددا من النواعير. كما مررنا بمواضع ضيقة فى النهر لأنها مسدودة بحجارة، و لهذا السبب كانت المياه تجرى بسرعة، و كان الملاحون يبحثون بجهد كبير عن الممر المائى بين تلك الصخور، لأن تلك الممرات كانت ضيقة جدًا بحيث لا تمر المراكب إلا بصعوبة بالغه و لا مفر من ملامستها الصخور. و لكننا عبرنا تلك الممرات الستة بسلام بعون الله و بفضل مهارة الملاحين، و تخلصنا منها نحو الساعة السادسة من النهار.

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٥٩

تقوم على الضفة اليسرى من النهر منازل عديدة تسمى «بنى يابن» و جزيرة يقال لها «بيجان» Beggian مليئة بأشجار النخيل، ثم رأينا موضعا يدعى «كبين» Cabin.

أما الجهة اليسرى فما رأينا غير الأرض القفراء و الجبال الجرداء و بعض أشجار النخيل المتفرقة.

سرنا حتى الساعة ٢٠ مارين بمواضع مأهولة كثيرة على جهتى النهر، و عدد كبير من النواعير و هو ما يدل على أن مساحة كبيرة من الأراضى البعيدة عن النهر هى خصبة.

و بعد قليل رأينا أكواخا فى موضع يدعى «سبرية» Sabrie و هو على الضفة النهر اليسرى، و تلاه بعد قليل موضع مشابه له يسمى «زاوية» أو «زوية». Zouia

فى الساعة ٢١ خلفنا وراءنا جزيرة صغيرة مليئة بالأحطاب التى تستعمل للايقاد كالطرفاء و العوسج، و أسم الجزيرة «زيرة» Zera و من بعدها مجموعة أكواخ يقال لها «جيرة» Giera و هناك عدد كبير من النواعير. و الموضع التالى الذى يشبهه يسمى «عدلية» Adlelie و بعد مسافة قليلة

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٦٠

«باصبيلية» Bousobileia و هى عبارة عن حصن مأهول بالسكان، ثم «هدرتا» Ederita و «الجرمة» Germa و كلاهما مأهول و يقعان على الشاطئ الأيسر.

و لما تركنا هذه المواضع و ابتعدنا عنها نحو الساعة ٢٣ مررنا بأماكن أخرى فى النهر تقدر بأربعين موضعا و كلها خطيرة جدًا. و فى آخر المطاف قررنا أن نأخذ قسطا من الراحة فى «بينكسى» Benexi و هو موضع مأهول بالسكان و يقع على الشاطئ الأيمن من النهر.

أرتحلنا من ذلك المكان في السادس عشر من الشهر.

و في الساعة الثانية من ذلك النهار مررنا بقريتين الواحدة إزاء الأخرى: فتلك الواقعة على الجانب الأيمن تسمى «ديره» Dera أما الأخرى فتسمى «سيميا» Simia. و بعد قليل رأينا على الجانب الأيسر قرية أخرى كبيرة تسمى «جيلمه» Gielma و أخرى شبيهة بها لكنها على الضفة اليمنى و يقال لها «سيا» Sia ثم رأينا ستة نواعير، و قرية أخرى أسمها «الناصرية» Naseria و فيها محلات عديدة و غابات نخيل و نواعير.

رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٦١

و لما كانت هذه المنطقة عامرة بالقرى و القصبات، و لثلا يصاب القارئ بالملل فسأكتفى بذكر الأسماء فقط دون ذكر مواقعها أكانت على هذه الضفة أم الأخرى. فعلى الشاطئ الأيسر رأينا القرى الآتية: دولل ثم أسب، و بعد قليل مررنا بجبل أبيض اللون، أجرد السفح، ثم بغيرى و جديدة و هما قريتان؛ أما المدن فهى الآتية: فريكا و جديدة و دولب و لولب و تتوسط هذه الأخيرة غابة نخل يقال لها «ستيفا» و من هناك وصلنا إلى موضع يسمى «دولاب جديد» و اسمه يعنى موضع جديد.

أما عن اليمين فقد تركنا جزيرتين مليئتين بالأحطاب المفيدة للإيقاد. و لا إسم لهما لأنهما ظهرا مؤخرًا في النهر.

و أكملنا السير فوصلنا إلى قرية واقعة عن اليمين تسمى «زبيده» و من ثم جئنا إلى «عراصة» Urasa ثم قرية أخرى تسمى «عامرية» Amerie و تبعتها «البارة» Elbara ثم تركنا هذه القصبه إلى «فوق البيرة». Fuochebera بعدئذ قابلنا انحدار قوى فى النهر فى موضع ضيق، و كان الماء الهادر بين الصخور الكبيرة يجرى بسرعة مجنونة. و لمحنا بين

رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٦٢

الصخور ثلاث أشجار كأنها قامت هناك كعلامة إلى موضع الخطر. و أخيرا تخلصنا لحسن الحظ من هذا المنحدر و ذهبنا بإتجاه «أبو شابور» Abusabur و هو حصن يقع على اليسار، ثم مررنا تدريجياً بقرى أخرى هى: بنفورة و الجديدة و الفراشية. و رأينا جبلين هناك أبيضين.

بعد مسافة قليلة رأينا ناعورا أبعدته المياه عن اليابسة فأصبح فى وسط النهر كأنه جزيرة. فالمياه تحيط به من كل جانب. و رأينا أكواخا يقال لها «شيخ حديد» Segadid و أماكن عديدة كلها مأهولة، و بعض الأبراج و بقايا أسوار على ساحل النهر أى الفرات. أخيرا وصلنا إلى مدينة تسمى «حديثة» Aditi و فيها قلعة كتلك التى وصفناها من قبل فى عنه، و سكانها أكثر عددا، و موقعها فى جزيرة. فمررنا بها و هى على جانب

رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٦٣

النهر الأيمن. و بعد قليل أبصرنا جامعا يقع على قمة تل و يسمى «شيخ ايته» Sechaite.

يوجد فى مدينة الحديثة «سنجق» معين من قبل «أبو ريشة» زعيم العرب.

ينتصب مقابل هذه المدينة، على الجانب الآخر من النهر، برج قديم تتناثر حوله القبور على عادة هؤلاء الناس .

عند مغادرتنا هذه المدينة توجب علينا عبور ممر ضيق يقع بين سور المدينة و الصخور العظيمة المكدسة هناك من أجل دعم ستة نواعير قائمة فى النهر مقابل المدينة. و كنا نحرك المجاذيف بصعوبة بالغة فى هذا الممر الضيق، فكان إعتادنا أكثر على مقود المركب. فأسرعنا بالعبور خوفا من السقوط فى شرك يدبره لنا أولئك و لم نلتكأ بإرسال الهدايا إلى باشا السنجق إذ أدنا له شاهيتين مع ست قطع صابون و صحن زبيب.

فى نحو الساعة ٢١ و بينما كنا نجذف فى النهر رأينا

رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٦٤

بيوتا كثيرة متناثرة على الضفتين، فضلا عن أبراج و بساتين و أشجار نخيل.

ثم مررنا بجزيرتين مأهولتين واقعتين على يسارنا، ثم جزيرة ثالثة مأهولة أيضا و هى خاصة بكتخدا السنجق الذى يحكم تلك المنطقة. و فى نحو الساعة ٢٣ مررنا بجزيرة أخرى فعبرنا بين ناعور يقع إلى اليمين و صخور كبيرة جدًا كان بعضها مغمورا تحت الماء و القسم الآخر منها ظاهر فوق سطح الماء. و بعد مسافة أخرى رأينا حجارة كبيرة- هى فى تقديري- من أجود أنواع الرخام الأبيض.

و بعد أن تركنا خلفنا عددا كبيرا من الجزر، كان بعضها مأهولا و الآخر خاليا من السكان و رأينا من جديد غابات نخيل.

و عند المساء وصلنا نطلب الراحة فى الضفة اليمنى من النهر، فى موقع يقال له «جزيرة آلوس» Zezirnalus و هى عامرة بالأشجار و

الدور و الأبراج و النخيل الكثيرة.

رحلنا من هناك فى السابع عشر من الشهر قبل شروق الشمس بنصف ساعة و بعد أن مخرنا عباب النهر ثلاث ساعات وصلنا إلى موضع يقع على ضفة النهر اليمنى حيث رأينا برجين و ثلاثة بيوت. و رأينا على مسافة قصيرة منها رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٦٥

مسجدا قال مرافقونا عنه انه مثنوى واحد من أعظم أوليائهم . و لهذا ما أن اقتربنا من المسجد حتى هب المسلمون الذين كانوا فى المركب فرفعوا أصواتهم بالدعاء و لم يتوقفوا إلى أن غاب المسجد عن أنظارهم. ثم خلفنا وراءنا مواضع عديدة حيث يستخرج الرخام، و غابات نخيل، و عددا من النواير و البيوت و الجزر، و مررنا من جديد بمنحدرات قوية و خطيرة حتى وصلنا إلى مدينة تسمى «جبة» Giuba و تقع فى الساحل الأيسر من النهر، و تحيط بها المياه من كل جانب. و هى محصنة بقلعتين فى كل جهة منها. بيوتها جميلة مشيدة على الطريقة العربية، و حقولها خصبة، و ثمارها و افرة. هنا يدفعون للأمين شاهيين عن كل مركب، و ست قطع صابون فضلا عن صحن الزبيب.

لم نتوقف فى تلك البلدة خوفا من تدخل السكان بطريقة من الطرق: أ كانت بالحيلة أو الدسيسة لإنتزاع شىء من سلطنا. فما كدنا نؤدى المكس حتى أكملنا السفر و نحن نمتع الأنظار بالحقول العامرة ببساتين البرتقال و النخيل.

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٦٦

و ظهر إلى اليسار مسجد «شيخ جبة» الذى له فى نفوس السكان مكانة عظيمة و إجلال كبير.

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٦٧

الفصل الرابع الطريق من جبه إلى الفلوجة

إشارة

لا أجد ضرورة للتوقف هنا لأذكر التجار الذين يأتون إلى هذه المدينة بأهمية و فائده أطعام سنجق جبه و أمينه، لأنهما سيقنتعان بسهولة بالاراجيف التى يلفقها المسافرون- ضد الأجانب- فلا بأس من تقديم هدية طيبة خيرا من تحمل أتعاب بغنى عنها. بعد أن أطلقنا من هذه المدينة رأينا على جانب النهر الأيسر جزيرة مسورة مليئة بالأشجار المثمرة و الأحطاب المفيدة للإيقاد و الأشجار التى تصنع من أخشابها دواليب النواير . و خلاصة القول أن تلك الأراضي كلها كانت مليئة بالتلال الصخرية و البيوت و النواير. و بعد أن عبرنا

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٦٨

منحدرا مائتا و ذلك بعد مضى ساعتين من مغادرتنا «جبة» وجدنا مدينة «ناؤوسه» و هى جزيرة واقعة على ضفة النهر اليمنى. و هناك جبل يقوم عليه مسجد قديم متهدم.

كانت هذه البقعة كسابقاتها عامرة بالبيوت و البساتين و الأحراش و النواير، و تجد حولها جبالا جرداء ذات لون أبيض. إضافة إلى غابات النخيل الكثيفة و مختلف الدور التى يقال لها «خرائب» Caraib و صفره Sofera . فلما أوشك النهار على المغيب اتينا نطلب الراحة فى موضع يسمى «جارجولا» Giaregiuola و لم نجد فيه بشرا. و فى ذلك النهار مررنا بشمانية و أربعين مضيقا أو منحدر مياه فى النهر!

صباح اليوم الثامن عشر من الشهر غادرت سفينتنا ذلك الموضع تتبعها المراكب المرافقة لنا، فوجدنا أثناء السفر فى تلك الأرياف التى كنا نمر بها غابات نخيل و نواير و جزرات مليئة بأخشاب الوقود و قرى عديدة، منها: زيريزة Ziriza و بسطامية Bostamia و بزينة Bisina و الجزيرة Jizira و غيرها لن أذكرها حيا بالاختصار.

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٦٩

هيت

أخيرا وصلنا عند منتصف النهار إلى مدينة تدعى «هيت» و هى تقع على شاطئ النهر الأيمن، و يكثر فيها اللصوص و القتلة الذين يقال

لهم «جزريون» و لهم قلعة قريبة من المدينة المذكورة.

أدينا في ذلك المكان ضريبة كانت بمقدار ما دفعنا في «عنه». و يجبي المكس هنا أمين من أتباع باشا بغداد، رغم أن المدينة خاضعة لزعيم العرب المعروف بأسم «أبو ريشة». و لكى لا يخدعنا الأمين جامع الرسوم بحيله، سبقناه فأجلسناه على بساط و قدمنا له صحن زبيب و جوزا، و هذه الملاطفة لا تعد إهانة بل بالعكس فقد قابلنا لطفًا بلطف أحسن من أى مكان آخر. و لهذا قدمنا لسنجق المكان نفسه و إلى كتّابه صحن زبيب و خمس قطع صابون صغيرة لكل واحد منهم.

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٧٠

بارحنا ذلك المكان نحو الساعة ٢١ و مخرنا عباب النهر الجارى فى سهل منبسط، و هنا أيضا رأينا جبلا يقوم على قمته مسجد جميل جدًا. و هكذا سرنا نمتع الأبصار بتلك التلال و الحقول و رأينا أحراش حطب، و أشجار نخيل؛ و مررنا قرب النواعير و الأكواخ، و مختلف البيوت المشيدة على ضفتى النهر. حتى جاء المساء فمضينا لنحل فى موضع على ضفة النهر اليمنى و كان المكان أشبه ما يكون بالجزيرة.

قير هيت

فى الساعة الواحدة ليلا وصلت إلينا فى الموضع الذى نزلنا فيه إحدى سفننا التى أبطأت فى السير و بقيت وراءنا بانتظار بعض التجار الأتراك الذين ذهبوا إلى موضع قريب من هيت لمشاهدة المحل الذى يتدفق منه القير و هو أشبه ما يكون ببحيرة يفور منها القير باستمرار، و مع هذا لم يكن حارًا.

إن سكان تلك النواحي يشيدون بيوتهم من أغصان الأشجار ثم يطونها بطبقة سميكة من القير حتى يمكن القول بأنهم يقيمون جدرانا مقيرة. و بهذه الطريقة نفسها يصنعون السفن من سعف النخيل ثم يضعون كمية كبيرة من القير فتؤدى الغاية المتوخاة كما لو كانت مصنوعة من الواح الخشب كما نفعل نحن.

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٧١

بإمكانهم استخراج كميات من القير كما يشاؤون دون دفع أى مبلغ، لأن هذه المادة تتدفق بكميات هائلة بحيث أنهم لا يعرفون ما يصنعون بها.

و أعلم إنه أثناء فوران بحيرة القير ترتفع موجات منه فتجرى خارج نطاق البحيرة و تغطى الحقول المجاورة لها.

كما تخرج من البحيرة نفسها جداول ماء عذب يصلح للشرب فيفيد البلد.

و يؤكد أولئك السكان أن نهر الفرات عندما يفيض و يتعدى مجراه يجرف كميات عظيمة من القير الموجود فى تلك البرارى، و لو لا ذلك الفيضان لتراكت كميات هائلة منه و لأصبحت أقرب إلى الجبال الكبيرة.

فى صباح اليوم التالى و هو التاسع عشر من الشهر، بارحنا تلك الجزيرة قبل شروق الشمس. و بعد ساعة من الجريان فى النهر رأينا جبل رخام على شاطئ النهر الأيمن.

و فى ذلك المكان التقينا بقارب من مدينة الفلوجة قاصدا هيتا. إن القارب يستطيع الذهاب إلى هيت لكنه لا يستطيع التقدم أبعد منها بسبب منحدرات المياه التى تحول دون مروره.

أسعار القوارب

ما دمنا نتكلم على القوارب فينبغى أن تعلم أن من

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٧٢

يشترى القوارب فى بيده جك قاصدا بغداد، عليه أن يبيعه فى هيت أو فى الفلوجة. إذ يجب ترك السفن فى إحدى هاتين المدينتين، لأن السفن لا تستطيع العودة فى النهر بسبب سرعة جريانه خاصة فى المنحدرات التى ذكرناها فهى تعوق تقدمها.

أما أسعار السفن فحدث عنها و لا حرج: فأنت تشتري المركب فى بيده جك بخمس و عشرين دوكة (دوقية) و تبيعه فى الفلوجة أو فى هيت بأربع دوكة أو خمس لا غير!

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٧٣

تكملة الرحلة

إنطلقنا من هناك لنكمل رحلتنا فلم نجد في تلك البرارى المقفرة الجرداء سوى بعض الأحراش هنا وهناك ولا شىء آخر. و شاهدنا بعض الجبال، و من جملة تلك الجبال رأينا جبلا عاليا يدعى «مالين» Maleben يقوم عليه مسجدان. و رأينا في النهر جزرا عديدة، كانت إحداها كبيرة نسبيا لأنها قسمت النهر إلى فرعين و تسمى «الخليجي» Elchaligi و ليس فيها سوى الأشجار البرية. ثم رأينا بالقرب من ذلك الموضع تلا ينتصب فوقه برج قديم عظيم البنيان، لكنه متهدم. هناك توقفنا نحو ثلاث ساعات، لأن ريحا شرقية عاتية هبت علينا في ذلك الوقت فحالت دون تقدمنا.

بعد أن هدأت الرياح، و أصبحت الملاحه ممكنة في النهر، إنطلقنا حالا، فرأينا بعض القصور القديمة المتدمة، لكنها لا تزال محافظة على الشكل و الطراز، و يظهر أنها

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٧٤

كانت مسكن أشخاص على شىء من الأهمية. و تسمى «أوسى» Auosi .

كان السهل مليئا بالأشجار البرية، و تعيش هناك حيوانات وحشية كثيرة كالوعول و الخنازير البرية و الدببة و ما شاكلها. و لما كانت غحدى سفننا قد سبقتنا لتعد مكانا نستريح فيه تلك الليلة، لذلك اجتهدنا لنلحق بها. لكن الحظ عاكسنا إذ أرتطم مركبنا باليابسة. و كان الظلام قد لف الأرض فإضطررنا إلى قضاء تلك الليلة في ذلك المكان الموحش و الخطر، خوفا من اللصوص الذين يخرجون في أفواج مكونة من مئة إلى مئتي شخص لنهب السفن. و مما زاد في الطين بله أن إحدى سفننا التي كانت تسير في أثرنا ارتطمت هي أيضا بالرمال فلزمنا أن نقضى الليلة هناك، و البنادق بأيدينا و نحن على أهبة الإستعداد لإستعمالها!

رحلنا في الصباح بعد جهد جهيد إذ غادرنا ذلك الموضع لنكمل سفرنا، و بعد شروق الشمس ساعتين و نصف وصلنا إلى أكواخ مشيدة بأغصان الشجر و مطيئة من الخارج بالطين و يطلق على ذلك الموضع أسم «قره قول» Caraguol و يتكلم أولئك الناس ثلاث لغات، و هي: العربية التركيه و العجمية أى الفارسية.

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٧٥

الكرود

يسقى هؤلاء الناس حقولهم بطريقة مختلفة عما يفعل الآخرون. فهم يسحبون الماء من النهر بقرب مصنوعة من جلود الماعز أو جلود الحيوانات الأخرى المتوفرة عندهم، مع العلم أنهم يمتلكون حيوانات كثيرة (و جدير بالذكر وجود أسود فى ديارهم تزرع الفلاحين كثيرا فيضطرون على حمل السلاح دائما). و يسحبون القرب إلى الأعلى بواسطة بكره تدور بقوة الثيران، فعندما تنزل القرب نحو الماء تسير الثيران المربوطة بحبال إلى نقطة معينة حتى ترتفع القربة إلى البكره حيث توجد ساقية فينسكب الماء فيها، و حينئذ يوجهون الماء إلى حيث يحتاجون .

بعد أن بارحنا ذلك المكان شاهدنا على الجانب الأيسر بيوتا عديدة متجاورة على شاكله المدينة، و تسمى «قصور» Cozzur و موقعها بالحقيقة جميل جدا، و أرضها

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٧٦

خصبة لأنها غنية بالمياه التي ترويهما بتلك الطريقة الغنية التي نوهنا بها.

بعد مسافة قليلة من ذلك المكان، نشاهد على الضفة اليمنى من النهر مسجدا مع منارة و يسمى «مزيات» Misiat و يقال أن البادية تبدأ من هناك.

فى ذلك المساء ذهبنا فقضينا ليلتنا فى نهاية أراضي مقاطعة- قره قولى، و هى واسعة جدا لأننا صرفنا نهارا كاملا فى قطعها و نحن نمخر النهر.

إن سكان منطقة القره قول ليسوا أتراكا و لا- عربا و لا- فرسا، و هم فى نظر الآخرين أنا لا يتبعون شريعة قويمه، كما نظر نحن إلى الهراطقة و الوثنيين .

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٧٧

الفلوجة

فى الحادى و العشرين من الشهر نفسه إنطلقنا منذ الصباح الباكر من ذلك المكان، و عند شروق الشمس رأينا جدولاً يصب فى الفرات و منشؤه فى بغداد، و هو صالح للملاحة و لكن بقوارب صغيرة.

و بعد مسافة قليلة من ذلك الموقع وجدنا أحراشا كثيفة يحتطب الناس منها و قودا لأهالى بغداد.

و بعد منتصف النهار شاهدنا «الفلوجة»، و قبل أن نصل إليها مرنا بغابات النخيل الكثيفة. و ها قد وصلنا بسلام و أمان بعون الله تعالى إلى الفلوجة و ذلك فى الساعة الحادية و العشرين.

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٧٨

لقد تركنا الفرات الذى تكثر فيه طيور الكركى و بنات الماء و البلشون و النورس و البلقشة و غيرها .

يقول العرب- ممن كانوا بصحبتنا- أن فرعا من الفرات يصب فى نهر دجلة قرب البصرة، و الفرع الآخر يصب فى الخليج لنحدر من ثم إلى هرمز من جملة الأسماك و يسمى «سمك فراتى» إنه لذيذ جداً، و أصلح الأنواع قاطبة. و يصطادون منه كميات كبيرة على ضفتى النهر، فيعتاش منه كلهم: الملاحون و الفلاحون على السواء، و كذلك الناس الذين يقال لهم «كرجى» و هم مسلمون أيضاً، منهم عرب يعيشون على السلب، و منهم تركمان و هؤلاء لا يسرقون لكنهم يعادون العرب الغزاة.

و هكذا وصلنا إلى الفلوجة. و عندها نفحنا الرجل الذى دق و تدا فى الأرض و ربط سفننا به أكرامية قدرها أربع شاهيات و ثلاث قطع منفئة المؤيدى.

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٧٩

الفصل الخامس وصف الفلوجة حيث نزلنا للإنتلاق منها إلى بغداد و تكملة الرحلة

إشارة

تبعد الفلوجة عن بغداد مسيرة يوم و نصف، و هى نقطة مرور يفد إليها عدد كبير من التجار الغرباء فى طريقهم ذهاباً أو إياباً بين حلب و بغداد، لأنهم ينزلون الأحمال و البضائع فى هذه البلدة، و يوسقونها على القوافل أو بالعكس.

الكلب

يصنع أهل هذه المدينة أنواعاً من القوارب أو الأطراف تحملها عشرة زقاق أو قرب، أو اثنا عشر منفرخة بالهواء و مربوطة إلى بعضها. ثم يطرحون فوقها الواح خشب و تحمل كمية كبيرة من البضائع.

لم نفرغ البضائع مساء ووصلنا، بل أبقيناها فى المراكب حتى انقضى اليوم التالى بأكمله. و فى الليل وصل ثلاثه و عشرون جملاً أتينا بها سراً للحميل، و أرسلت رجلين من جماعتى برفقة الجمال المحملة، أما أنا فبقيت فى

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٨٠

المركب إلى أن أعادوا الجمال إلى. لقد عملنا بسريه تامه لثلا يشعر الرئيس المحلى بوجودنا لأنه كان هناك لينفذ أوامر سيده جامعا الأموال لإرضائه .

إنصرفنا من هناك خفية فى الليل بعد أن اتفقنا مع رئيس القافلة على أن نؤدى له سبع شاهيات عن كل جمل.

بينما فى أوقات أخرى عندما تكون الجمال كثيرة لا يحتاجها السيد عندئذ تهبط الأسعار فلا يدفع عن الجمل الواحد أكثر من ثلاثين مؤيدياً.

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٨١

على مشارف بغداد

سرنا و قبلتنا بغداد، و قد تركت أحد رفاق السفر فى الفلوجة لحراسة البضائع المتبقية ريثما ترسل إليه الجمال فيفعل كما فعلنا من قبل. و لما كنت فى مؤخرة القافلة لإنهاء عملية التحميل و من أجل الحراسة، اضطرت إلى تقديم بعض المال و الألطاف إلى إنكشارى، و

إلى جاويش، ثم إلى أمين البلدة. و هكذا سافرنا من تلك البلدة ضمن قافلة عظيمة. عند بزوغ شمس الرابع والعشرين من شباط . كنا نعبر جسرا قائما على فرع من فروع الفرات، و ينشأ هذا الفرع عن أزدباد مياه الفرات و يصب في دجلة قرب بغداد . و في منتصف النهار اقتربنا من خرائب مدينة رحلة الإيطالي كاسبارو بالي / تعريب بطرس حداد، ص: ٨٢

متهدمة يقال لها «السندية» Sendia و بعد نصف ساعة وجدنا في الجهة اليسرى بداية المدينة العظيمة بابل القديمة و تسمى اليوم «فخريه»، Facheria و استمر بنا السير حتى حل المساء، فأتينا إلى موضع يدعى «ناريسا» Nareisa و يقع في منتصف الطريق الذي يجب قطعه بين الفلوجة و بغداد، و هو مكان خطر جدا لكثرة ما فيه من لصوص و أسود! رحلة الإيطالي كاسبارو بالي / تعريب بطرس حداد، ص: ٨٣

آثار عقرقوف

في اليوم الخامس والعشرين من الشهر، قبل شروق الشمس، عاودنا السير و آثار بابل القديمة لا تزال منظورة دوما عن جانبنا الأيسر و استمر المنظر حتى غابت عن أبصارنا.

فلما بزغت الشمس أبصارنا كتلا عظيمة لأسوار متهدمة، ثم شاهدنا كتلة من برج بابل الهائل في موضع يسمى «عقرقوف نمرود» . و إذ اقتربنا من مكان اسمه «مسكدون» Mascadon بدأنا نشاهد مساجد بغداد الحديثة . و كنا قبل ذلك قد مشينا أكثر من نهار كامل قرب موقع بغداد القديمة على

رحلة الإيطالي كاسبارو بالي / تعريب بطرس حداد، ص: ٨٤

جانب واحد، و هي تنتهي في موضع يقال له «دور القز» Durelcus و يظهر انه كان هناك هيكل عظيم جدا- و أقول هذا- بسبب القبة التي تشاهد هناك و هي عالية جدا.

و لا ريب أننا عند مشاهدتنا مدينة بغداد القديمة و كيف أصبحت خرابا نرى في ذلك أصبح الله .

تظهر الأراضي الواقعة بين الفلوجة و بغداد للناظرين من بعيد جيدة و خصبة، أما في الواقع فلم نشاهد شجرة واحدة أو نباتا أخضر. لقد كانت مقفرة عقيما و خرابا في خراب لا بيت فيها و لا قلاع. الشيء الوحيد الذي لا حظناه هناك أن تلك الأراضي تنتج أجود أنواع الفطر . التي بإمكان إنسان أن يتذوقها، و هي بكميات كبيرة، و لوجودتها يستطيع الإنسان تناولها نيئة كما يفعل هؤلاء الناس.

رحلة الإيطالي كاسبارو بالي / تعريب بطرس حداد، ص: ٨٥

بعد مسافة قليلة من آثار المدينة القديمة، تشاهد الأطلال الشاخصة لقلعة تسمى «قلعة جاموس» و بالقرب منها خمسة مساجد، ثلاثة في هذه الجهة من الطريق التي نسلكها، و أثنان من الجهة الأخرى.

بعد منتصف النهار بساعة وصلنا إلى «دار الرقيق» Rwchiche و يقع هذا الموضع على نهر دجلة مقابل بغداد الجديدة . و من أجل الذهاب من دار الرقيق إلى بغداد لا بد من عبور النهر على جسر من الخشب المثبت فوق سبعة و ثلاثين قاربا (جسارية) مصنوعا على شاكلة قواربنا التي نسميها بوركيللي أى العوامات التي تنقل الطين.

و قوارب الجسر هذه مربوطة إلى بعضها.

إتخذنا لنا منزلا في - منطقة - دار الرقيق ريثما ننتج معاملته إخراج بضائعنا من الكمر ك.

و من أجل إختصار الأمور التي رويها حتى الآن، ينبغي أن تعرف - أيها القارئ - أن الرحلة من حلب إلى بيره

رحلة الإيطالي كاسبارو بالي / تعريب بطرس حداد، ص: ٨٦

جك استغرقت مدة ثلاثة أيام، و كانت في الطريق البرى ضمن قافلة حتى وصلنا الفرات. و من بيره جك إلى بغداد أمضينا تسعة و أربعين يوما متواصلًا، و يرجع سبب هذا التأخر إلى أن الفصل كان شتاء فالحق يقال أن هذه السفرة كانت تتم بوقت أقصر لو جرت في غير هذا الفصل من السنة.

انفقتنا في الطريق من مدينة حلب إلى بغداد سواء للرسوم أو للهدايا أو الرشوات ما هو مدون أدناه بإختصار، ما عد مصروفنا الخاص للمعيشة.

رحلة الإيطالي كاسبارو بالي / تعريب بطرس حداد، ص: ٨٧

المصاريف من حلب إلى بغداد

للجمال من حلب إلى بيته جك: ٦٠ مؤيدى عن الحمل الواحد، مع العلم أن المؤيدى القرش الذى يساوى أربعة فلوس من نقدنا .
 أحمال البغال ٤٥ مؤيدى للحمل الواحد
 مصاريف المكس فى بيته جك ١٠ مؤيدى للحمل الواحد
 منحة للأمين ٤٠٠ مؤيدى
 اتاوة إنتزعهها القاضى ٢٠٠ مؤيدى
 ثمن أربعة صحون زبيب
 و عشرين قطعة صابون ٣٥ مؤيدى
 رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٨٨
 للقوارب عدد ٣٠ على ٣٥ بستين دو كاه ٢٤٠٠ مؤيدى
 لإطعام الرجال ٢٠٠ مؤيدى
 للمكس فى الرقة ٥ مؤيدى عن الحمل
 ثمن ٣ صحون زبيب
 و صابون عدد ٢٥ ٢٥ مؤيدى
 حقوق الملك أبو ريشة
 ٢٠ دو كاه ٨٠٠ مؤيدى
 للمكس فى الدير ٥ دو كاه ٢٣٠ مؤيدى
 ثمن ٤ صحون زبيب و صابون
 عدد ٢٠ ٣٥ مؤيدى
 للمكس فى عشرة ١٠ مؤيدى
 ثمن صحنى زبيب و صابون
 عدد ١٧ ١٠ مؤيدى
 للمكس فى عنه ١٠ عن كل حمل
 ثمن ٤ صحون زبيب و صابون عدد ٢٠ ٣٥ مؤيدى
 للمكس فى حديثه ١٠ عن كل قارب
 ثمن صحنى زبيب و صابون عدد ١٧ ١٠ مؤيدى
 رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٨٩
 للمكس فى هيت ١٠ عن كل حمل ثمن ٤
 صحون زبيب و صابون
 عدد ٢٠ ٣٥ مؤيدى
 ثمن الهدايا فى الفلوجة ٣٠ مؤيدى
 أجرة الجمال من الفلوجة إلى بغداد ٣٠ للحمل الواحد
 هذه هى النفقات التى تصرف عادة من حلب إلى بغداد، دون أن تدخل ضمنها مصاريف الطعام الخاص بنا شخصيًا. و أعتقد فى ما
 ذكرت الكفاية لهذا القسم من الرحلة و لنأت الآن نتحدث عن مدينة بغداد.
 رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٩١

الفصل السادس وصف بغداد و السفر إلى البصرة

بغداد الحديثة التي يسميها الأتراك «بجياديت» Bagiadet لها من بعيد منظر خلاب رائع الجمال شبيه بمنظر دمشق، لأن القادم من السفر يراها من بعيد للوهلة الأولى و هي راقدة بين أحضان البساتين الخلابه و الجنائن الغناء، تحيط بها الأشجار المثمرة. و ما يزيد من بهاء منظرها قباب المساجد المزخرفة باللون اللازوردي!

إنها مدينة كثيفة السكان بالرغم من أنها ليست كبيرة جدًا. و تجرى فيها الأعمال التجارية بكثرة لبضائع الأجانب، لأنها ممر مهم إلى بلاد العرب، و إلى تركيا،

رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٩٢

و إلى بلاد فارس، و إلى سائر الأقطار. و مما يؤيد كلامي كثرة القوافل التي تمر بها يوميًا، إذ تدخل إليها و تنطلق منها في مختلف الاتجاهات.

تزودها أرمينية بأنواع السلع التي تنقل إليها على نهر دجلة، فتصل حتى أسوار المدينة فوق أطواف (أكلاك) مصنوعة من الواح خشب مربوطة إلى بعضها فوق زقاق جلود الماعز بعد أن تنفخ بالهواء و تربط معا إلى بعضها.

فمتى وصلت هذه الأطراف إلى بغداد، تنزل البضائع منها و بعدئذ تفك الألواح و تباع في السوق المحلي. أما الزقاق فتفرغ من الهواء و تحمل على الجمال لتعاد إلى مصادرها الأصلي.

تقع هذه المدينة ضمن الحكم الفارسي . لكنها منذ زمن و إلى الآن تخضع للحكم التركي و للمدينة قسم مقابل في الجانب الآخر من النهر، أي الجهة التي تواجه

رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٩٣

بلاد العرب . فهناك حصن أو محلة تدعى «دار الرقيق» و هي عامرة بالدور و الفنادق و المخازن حيث يحل القسم الأعظم من التجار الأجانب الذين يأتون إلى المدينة.

و عند ما يريدون مغادرة ذلك الحى للدخول إلى المدينة في الفصل الذي تزيد فيه مياه النهر بسبب كثرة الأمطار، عندئذ يضطرون إلى قطع الجسر في وسطه و يسحبون قسما منه أمام سور المدينة، أما القسم الآخر فيتترك عند شاطئ ذلك الحى. و في هذه الحالة يعبرون النهر بالقوارب بخطر كبير جدًا، لأنها قوارب صغيرة تنقلب في كثير من الأحيان فيبتلعها النهر الهادر، و تسبب الموت لآلاف عديدين .

قلعة بغداد

في الجهة اليسرى من المدينة توجد قلعة على شاطئ النهر لحماية المدينة، و فيها عدد كبير من المدافع من النوع المسمى «الصقر» . و في القلعة جنود. و هناك قلعة أخرى

رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٩٤

داخل المدينة نفسها و هي حديثة البناء، جميلة جدًا، تقوم في وسط ميدان منبسط، و تمتد أمامها ساحة فسيحة جدًا.

يقيم في القلعة الباشا، أى حاكم المدينة ، و له فيها عساكر كثيرة من السباهية و الانكشارية و غيرهم.

و في المدينة عدد كبير من الحمامات مطلية من الداخل بالقيصر عوض الجص، و يبلغ عددها نحو ستين حماما.

نشاهد في المدينة آثارا كثيرة يعتقد أنها منقولة من بابل القديمة، رغم أن كل ما يشاهد فيها هو قديم ما عدا القلعة التي ذكرتها التي يسكن فيها الباشا.

و هذا يكفى عن مدينة بغداد.

رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٩٥

الفصل السابع وصف برج نمرود القريب من بغداد

يبعد برج نمرود عن بغداد أكثر من ثمانية أميال و يقع في هذه الجهة من نهر دجلة. و هو في سهل فسيح يمتد نحو بلاد العرب. و قد أصابه الخراب كليًا فأصبح ركاما أشبه ما يكون بجبل. رغم ذلك لا تزال كتلة كبيرة منه قائمة لكن الأبقاض غطتها تقريبًا.

شيد هذا البرج بحجارة مجففة بحرارة الشمس، و طبقات من القصب التي لا تزال قوية جدًا إلى اليوم. و يبلغ محيط البرج نحو ميل واحد.

يترك هذا البرج إنطباعا يختلف عن سائر الأبنية فتلك بقدر ما يقترب المرء منها بقدر ذلك تظهر اكبر حجما. بينما هذا البرج يظهر عظيم الشأن من بعيد و عند الإقتراب منه يصغر تدريجيا. و سبب ذلك انه لا يوجد حواليه أى شىء

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٩٦

كبير أو مرتفع ما عدا حجارة انقاضه. ثم لأنه يقع فى سهل واسع الأرجاء .

و الآن بعد أن تكلمت عن المدينة و عن برج بابل، أرى من المناسب أن أقول شيئا عن الموازين و المقاييس المستعملة فى بغداد. ثم أتكلم عن النقود المتداولة فيها حاليًا، و أنه أخيرا بالرسوم التي تستوفى عن كل نوع من البضائع.

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٩٧

الفصل الثامن الموازين و النقود و المقاييس فى بغداد

الموازين

المن البغدادى يساوى فى حساب حلب رطلا و خمس أوقيات و نصف، و ان ٦٨ منا و ثلاثة اسباع المن تعادل قنطارا حلييا أى ١٠٠ رطل، و تساوى فى حساب البندقية ٧٢٠ ليرة بندقية صغيرة .

القنطار البغدادى و قوامه مئة رطل يعادل أربعة عشر رطلا حلييا و سبع الرطل. و هذه تساوى ١٠٥٢ ليرة زائدا أوقيتين صغيرتين بحساب البندقية. هذا هو القنطار!

و لكن من الضروري أن تعلم أن التجار عندما يتحدثون فى أمور التجارة فإنهم يتعاملون بالمن و ينقصون من أوزان

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٩٨

السلع حسب نوعيتها على طريقة حلب، فلكل شىء حدوده الخاصة .

المقاييس

أما مقاييس المدينة المذكورة فهي عادة الذراع. و هنا أيضا يختلف مفهوم القياس بين حلب و بغداد، فالذراع البغدادى يقل عن ذراع حلب بنسبة ١٨ بالمئة. أى أننا لو أخذنا مئة ذراع فى بغداد فهي ستحسب هناك ٨٢ ذراعا حلييا.

النقود

أما نقود مدينة بغداد، فالمتداولة فيها هي: الشاهى و تساوى خمسة مؤديات. مع العلم أن هذه الفئة الأخيرة تسك محليا على حساب أن الدوكاه تساوى أربعين مؤديا.

السلطانية و البندقية الذهبية الواحدة تساوى ٤٧ مؤديا.

البياسترا الواحدة تعادل ٣٣ مؤديا.

النقد البندقي و الريال الاسبانى تباع بالوزن، كذا سعر رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد ؛ ص ٩٩

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ٩٩

عن كل مئة درهم إذ ليس لها سعر ثابت و معروف و عند ما يتكلم التجار فى شؤون المال فإنهم يعنون أن كل مئة مثقال تعادل ١٥٠ درهما بوزن حلب.

أما فى حساب دار السكة البغدادية فيأخذون النقود الأجنبية على حساب مئة الدرهم و يدفعون خمسة مؤديات أقل من السعر السارى فى البلد عن الوزن المذكور نفسه أى مئة درهم، و بعد أن يحول المبلغ إلى شاهيات يدفع على مدى أربعين يوما.

الرسوم

إن المكس في هذه المدينة يدفع على الطريقة الآتية، أكان عند الوصول إليها أو حين مغادرتها.

تستوفي ٦ بالمئة عن كل أنواع البضائع.

أما عن المرجان و العنبر فبنسبة ٥، ٥ بالمئة.

الأقمشة الآتية: خام لندن، الأحمر صنع شنتو ،

رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٠٠

الديباج، الأقمشة الوبرية، الأجواخ و الحرير، العتايه، الأطلس و الدمشقى و المخمل و الحرير المقصب. كلها بنسبة ٥ بالمئة لكنهم يحاولون دائما التقدير بسعر أعلى من ثمن البضائع الحقيقي.

كما تدفع للطواف و البواب و الكاتب ستة مؤيديات عن الرأس أو عن البالة أى الحزمة، و يكون الدفع نقدا.

و الأول بين هؤلاء أى الطواف هو الذى يعنى بفتح الحزم و شداها و نقلها أمام موظف الكمرک و النظر فى محتوياتها.

أما الثانى و هو البواب فإنه يفتح باب الكمرک و يغلقه و يكس المكان و يحافظ على نظافته.

كما يمنحون عادة أمين المال فى سبيل المجاملة ثلاثين شاهيا، فإن امتنع أحدهم عن دفع هذه الدراهم،

رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٠١

ستحدث له مفاجأة غير سارة عند استعداد المركب للإقلاع إذ سيهبط عليه الأمين بحجة التفتيش عن العملات التى لا يجوز إخراجها من البلد، و بهذه الحجة يعمد إلى فتح الأحمال من جديد فيقلب عاليها سافلها و العياذ بالله!

رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٠٣

الفصل التاسع السفر من بغداد إلى البصرة

إشارة

بعد أن أدينا ما علينا من رسوم، و قدمنا الهبات و الهدايا التى اعتادوا على تقديمها إلى مسؤولى بغداد، و بعد أن أمضينا فى هذه المدينة بضعة أيام. أخيرا توكلنا على الله و قررنا السفر، فحملنا بضائنا و أمتعتنا فى اليوم الثالث عشر من شهر آذار سنة ١٥٨٠ على متن سفينة مزدوجة (مدرعة!) لأن كل السفن التى تنحدر إلى البصرة هى من هذا النوع، أى أنها مبطنه من الداخل بطبقة سميكة مثبتة بمسامير ضخمة تمنحها قوة كبيرة جدا، و فى هذا المجال يجب أن تعرف أن أهل بغداد لاقتارهم إلى الخشب فإنهم يصنعون السفن من ألواح المراكب القادمة من بيره جك، لأن هذه المراكب- كما أسلفنا- عندما تصل إلى الفلوجة تفكك أوصلها و تباع.

رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٠٤

وصف المركب

يصنعون السفن هنا فى بغداد بكواثل منخفضة على شاكلة السفن التى نسميها فى البندقية «بياتي» أى المسطحة، لكن صدرها- أى مقدمتها- مرتفع على شاكلة سفننا المحلية التى نسميها «بوركي». و تصنع الدفة من أخشاب النخيل بعد ربطها إلى بعضها بحبال، و تبعد القطعة عن الأخرى أربع أصابع و نيفا ليمر الماء من الداخل و الخارج فى كل الإتجاهات.

إن الرجال الذين يجذفون فى السفن لا يجلسون على المقاعد فى داخل المركب بل على تلك المقاعد المثبتة فى الجوانب حيث يحركون المجاذف حتى أنهم عندما يعملون يكاد نصف أجسامهم تميل فوق الماء.

و بصنعون هنا نوعا ثانيا من المراكب يشبه تلك التى ندعوها «كريبى» لها دعامة فى صدرها، أما دفتها فهى شبيهة بتلك التى ورد وصفها سابقا و تشر أشرعه هذه المراكب على شكل مصلب كما نفعل نحن فى قواربنا

رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٠٥

المسماة «المربعة»، و فى الواقع أن أشرعتها مربعة الشكل تقريبا لكن النهاية السفلى أعرض بقليل من النهاية العالية، و يرجع السبب فى ذلك إلى طول الحبال. و يربط رأس الشراع بخشبة مثبتة بالصدر، و بهذه تغطى المقدمة كلها و يمتد الشراع من جهتي المركب إلى الخارج أكثر من نصف قدم.

أما المجاذف فإنها تشبه الرفش المتصل بعضا طويله نوعا ما. لكن الأخشاب كلها: أكانت الساريه أم المجاذيف أو حاملات الأشرعه هي أخشاب غير مستقيمه و بها أعوجاج ظاهر.

تكملة الرحلة في دجلة

بعد أن حملنا البضائع مساء الرابع ليلة الخامس عشر من الشهر المذكور (آذار) بدأنا السفر في دجلة متجهين جنوبا لأن غايتنا كانت البصرة. فمخرنا النهر طوال الليل بقوة المجاذيف. وعند بزوغ الشمس رأينا على الضفة اليسرى من النهر مدينة مقفرة تدعى «إيوان كسرى».

ما أجمل نهر دجلة! ... في رأيي انه يشبه النيل،

رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٠٦

ولا خطر فيه للإرتطام باليابسة أو بالمضائق أو بجذوع الأشجار كما كان يحدث في نهر الفرات. ولهذا سفرنا آمنين طيلة النهار، ولم نشاهد شيئا يذكر إلا في الواحدة صباحا إذ رأينا مسجدا. كانت ضفاف النهر عامرة بالنخيل أشبه ما تكون بالغابات. كما لاحظنا وجود عدد كبير من الخزائير البرية التي كانت تتقدم من النهر لترد الماء.

بعد أن تركنا وراءنا قريتين متهدمتين، قيل أن الأولى تدعى «جديدة» Zadide والأخرى «كرد» Chert وأصلنا السفر طوال الليل، و لم نشاهد شيئا يذكر سوى خيام الرعاة العرب تحيط بها حيواناتهم بأعداد كبيرة.

صباح اليوم السادس عشر وجدنا في الساعة الواحدة من النهار قرية مأهولة بالسكان تدعى «دولاب» Duleb وكانت واقعة على ضفة النهر اليمنى، وهناك بالقرب منها جزيرة في وسط النهر مليئة بالأحطاب المفيدة للإيقاد وتسمى «ياسونة» Iassune.

العمارة (كوت العمارة)

أكملنا سيرنا على هذه الشاكلة إلى المساء. وفي الساعة الثالثة ليلا- وصلنا إلى موضع يقع على عدوة النهر اليسرى و يسمى «العمارة» Eimara و يقوم على إدارته سنجق.

رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٠٧

يتوجب علينا أن ندفع له ثلاث دو كاه (دوقية) عن كل مركب من مراكبنا.

يتقسم دجلة في هذا الموضع إلى قسمين: يجرى الأول متجها إلى البصرة، بينما يختلط الثاني بجدول يدعى «شط الجواز» Settiguialez الذي يصب في آخر المطاف بنهر الفرات .

تابعنا سفرنا فوجدنا النهر بعد قليل أضيق جدا من قسمه السابق، ولاحظنا أيضا أن الريف الواقع على ضفته اليسرى كان مأهولا بالناس يدعون «كرجا» . أما على ضفة النهر اليسرى فهناك العرب الذين يعيشون في خيام متناثرة في البادية هي بيوتهم الطبيعية. و يستفيد العرب من ساقية ممتدة من النهر تصل إلى حصن يدعى «الكرجلاوية» Gurigielauia و من هناك تجرى في أراض صحراوية. في الساعة ١٨ وصلنا إلى «كبير» Cher و هو موضع يديره «سنجق» أيضا، و يطالب بدوره بدو كاتين (دوقيتين) عن كل مركب يمر من هناك.

توجد في أطراف هذا المكان أسود كثيرة تشاهد عند

رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٠٨

نزولها إلى النهر لترتوي إن النهر في هذه المنطقة أعرض بقليل من نهر «بريتنا» .

عادات البدو

أذكر القارئ على سبيل الفائدة بأن تلك المناطق يكثر فيها الأعراب الذين يعيشون على الغزو و يقيمون في الغابات و يتسلحون بأنواع مختلفة من الأقواس و السهام التي تنتهى برؤوس حادة شبيهة بتلك المستعملة عندنا التي نطلق عليها أسم «زكاليا». فيقومون حول السفن و يجعلون منها هدفا لسهامهم حتى تجبر على التوجه إلى البر لتصبح لقمة ساعة لهم. لكنهم بالطبع يخافون كثيرا من البنادق،

لذلك لم يتقربوا من سفننا.

فى تلك المناطق التى مررنا بها يكثر فيها الرعاة الذين لهم قطعان الماشية من ثيران و خراف و ماعز و سائر الحيوانات الاليفة الأخرى، رأينا كل ذلك و كما شاهدنا خيامهم التى يسكنون فيها.

فى الساعة ٢٣ وصلنا إلى موضع يدعى «عين قصر» Encaerami حيث يوجد ضريح أحد أوليائهم . فأراد

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٠٩

ملاحو سفننا الخمس التعبير عن أكرامهم له فرموا فى الماء خبزا و تمرا للأسماك على سبيل الصدقة.

كان الهواء حتى ذلك الوقت حسنا خلال سفرنا كله، سواء فى الفرات، أم هنا فى دجلة. و لكن اعتبارا من هذه المنطقة هبت علينا من النهر رائحة غريبة كتلك التى نشعر بها فى البندقية فى حى «مارغيرا» و كانت بالحقيقة مزعجة جدا . أضف إلى ذلك أننا إذ كنا نسير ليلا هبت ريح قوية على الشراع فدفعت السفينة إلى أحد فروع النهر الهادر حيث توجد لجج خطيرة لم ينتبه إليها الربان بسبب ظلام الليل الدامس. و إذا بنا ضحية ريح عاتية و مياه جارفة قاتلة فتملكنا خوف رهيب إذ أوشكت السفن أن تتحطم فتصبح لقمه ساعة بيد اللصوص. و من المؤكد أن نهايتنا باتت قريبة لو لم تسرع لنجدتنا السفن الأخرى التى بقيت خلفنا و لاحظ ركابها الورطة التى وقعنا بها، فأسرعوا و رموا لنا الحبال و خلصونا من ذلك المأزق.

تحط قرب الماء فى تلك النواحي أعداد كبيرة من طيور النورس و البلقشة و السمان فتغطى المناطق القريبة من هناك.

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١١٠

فى نحو الساعة الثالثة نهارا من اليوم التالى، أتينا إلى موضع جميل جدا و هو القرية، و يديره سنجق، و هناك يصب نهر يدعى «نهر مروان» Maroan ينبع من أطراف فارس و يجرى بسرعة عالية حتى انه يعمل على توسيع النهر فى هذا الموضع.

توجد قرية أخرى مقابل القرية التى ذكرناها و تسمى «كوركاب» Corcab و موضع مأهول آخر يسمى «سكر». Socher و هنا يبدأ النهر بالتوسع قليلا- متأثرا بعامل المد و الجزر كما يحدث فى البحر عندنا. فمياه النهر ترتفع لمدة ست ساعات ثم تعود فتهدم ست ساعات أخرى و ذلك بفعل الموجات الصاعدة من الخليج القريب من هناك.

بعد قليل من ذلك الموضع توجد قرية مأهولة تسمى «الكارر» Elcharer و تقابلها قرية أخرى متهدمة تدعى «قلعة التل».

القرنة

يجب الإنتباه كثيرا إلى السفن اعتبارا من هنا، لأن ماء البحر فى مده يسعى للدخول على النهر، ففى هذه الحالة يجب إيقاف السفن، و على ما يروى الملاحون انه بقدر ما

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١١١

تندفع السفن إلى الأمام بقوة المجاذيف، ترجع إلى الوراء بقوة المياه المتصاعدة من جراء المد.

كان الريف القريب من هناك مأهولا بالسكان. و كانت تسرح فيه- على ما قيل لنا- فى الأزمنة الغابرة خيول ذات شعر أخضر و عيون صفراء.

كانت تطير فوق مراكبنا فى هذا المكان أسراب هائلة من الذباب الأبيض، و كان لسعها أشبه بوخز الزنبور، بل كوخز الأبر. كم كانت مزعجة و مضره فى الوقت نفسه.

توقفنا فى ذلك المكان حتى الساعة الثالثة ليلا لأن المياه كانت تزداد بفعل مد البحر؛ و لما رحلنا أخيرا من هناك نحو منتصف الليل، وصلنا إلى مدينة تسمى «القرنة» التى يديرها سنجق يستوفى ٢٥ شاهيا عن كل مركب يمر من هناك، و شاهيين عن كل حمل ما عدا الثياب الوريية (الأجواخ) و المخملية، إذ يطلب عن كل حمل أربع شاهيات. و لقد توقفنا هناك إلى الساعة الثالثة من نهار اليوم التالى و هو ٢٠ آذار.

رحلنا من هناك، و بعد مسافة غير بعيدة رأينا فرعا

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١١٢

للفرات يتحد بدجلة و قد شيد فى الموضع حصن للحراسة يسمى «سير سيز اوزاكا» (؟) Sersisauzaca و يقيم فيه عدد كبير من الجنود لملاحقة السراق الذين يجوبون تلك المنطقة بمجموعات كبيرة قوام كل مجموعة منها مئة شخص و غايتهم السطو!

فى تلك الأثناء دخلنا فى عرض النهر الفائق الجمال إذ توسعت جوانبه فى تلك المنطقة حتى أصبح شبيها بنهر النيل. و كانت المناطق على جانبيه مأهولة بالناس، فالبيوت كثيرة و الأرض خضراء.

المناخ فى هذه المنطقة حار جدًا فى بعض فصول السنة، قد يؤدى بحيان بعض الناس الضعفاء. و قد علمت شخصيًا أن أربعة أنفار كانوا فى سفر فأضناهم التعب و الحر فجلسوا يستريحون قليلا- و إذا بهواء حار هب عليهم أدى إلى موتهم بالاختناق. لهذا السبب شيّدوا هناك مسجدا يقال له «منصور بنى صعب».

بعد مسافة قصيرة رأينا جزيرة كثيرة السكان تسمى «ابن النمر» و بالقرب منها جزيرة أخرى يقال لها «جزيرة الأرمو».

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١١٣

السكان

دعنى أتوقف قليلا لابين كيف يستخدم هؤلاء السكان آلة لطيفة جدًا يصطادون بها كميات وافرة من السمك، و ما هذه الواسطة سوى قصبه محدده الرأس لا غير .

يعيش هؤلاء الناس حياة هائثة لكثرة ما عندهم من الحنطة. و جدير بالذكر أن حبة الحنطة هنا كبيرة تفوق الحجم الاعتيادى؛ و يرجع سبب ذلك فى ظنى إلى أن حقولهم فسيحة و واسعة جدًا، و لذا فى أماكنهم الزرع فى حقل ارتاح مدة طويلة منذ الحصاد الأخير، قد تطول هذه المدة إلى ١٥ أو ٢٠ شهرا. ففى هذه الحالة يعطى مثل هذا الحقل ثمرا جيدا. لهذا السبب نرى تلك المناطق عامرة بالسكان و الدور.

كما يزرعون هناك الرز بكميات كبيرة أعتبارا من هذه المناطق و إمتدادا إلى حدود مدينة البصرة.

بعد أن سرنا حتى الساعة ٢٣ وصلنا إلى حصن يقال له «المناولى» . و فى هذا الموقع يستوفون الضريبة من تجار العبيد.

أكملنا رحلتنا بقوة الشراع طيلة ذلك الليل فرأينا قري

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١١٤

مأهولة و قلاعا على عدوتى النهر. و فى صباح اليوم التالى قبل شروق الشمس بثلاث ساعات رأينا فى الجهة اليمنى قناة عريضة بمقدار رمية حجر . و دخلنا فى تلك القناة و سرنا حتى الساعة الثانية من يوم الحادى و العشرين من شهر آذار (١٥٨٠) فوصلنا إلى مدينة البصرة.

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١١٥

الفصل العاشر وصف البصرة

إشارة

لبصرة أو كما يقال لها البصرة، مدينة واقعة فى بلاد العرب، و هى تحت سيطرة الأتراك حاليًا، لكنها كانت من قبل بقبضة العرب الذين يقال لهم «الجزريون» الذين يمتلكون الآن بلدا واسعا حيث لا تصلهم يد الأتراك، لأن منطقتهم تخضع لعامل المد و الجزر و معظم أراضيهم تحيطها المياه فتصبح عند المد أشبه بالجزيرة بل قد يغمرها الماء.

لهذا السبب لا يستطيع الجيش النظامى التوغل فيها لا عن طريق الماء و لا عن طريق اليابسة.

و سكان هذه المناطق هم رجال قتال، لذلك يتوجب على الأتراك أبقاء حاميه كبيرة فى البصرة تكلفها نفقات باهظة .

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١١٦

تبعد هذه المدينة عن البحر نحو خمسة عشر ميلا.

و هى مدينة واسعة التجارة بالتوابل و العقاقير و مختلف السلع الأخرى التى ترداها عن طريق هرمز، و فيها و فرة من التمور و الرز و القمح، و كلها تزرع فى المنطقة نفسها. لكنها تشكو من شحة المياه العذبة. فمن يرد أن يشرب ماء طيبا عليه الذهب مسافة نصف نهار ليرد الماء الزلال. أما الأشخاص الذين يشربون ماء النهر فتصيبهم الأمراض، لأن النهر يجرف معه كمية هائلة من الأوساخ بسبب أن أهل تلك البلاد يسمدون الأرض بالبراز البشرى. فعند ما يفيض النهر يجرف كمية كبيرة من تلك الأقدار و هو ما يجعل طعم الماء

أجاجة و فوق ذلك يؤثر فى الهواء أيضا فيجعله مزعجا و رديئا و تكثر من جراء ذلك أعداد هائلة من الذباب و البراغيث و البق و مختلف الحشرات الضارة و المزعجة.

رسوم المكس

تدفع الرسوم فى هذه المدينة على حساب ستة بالمئة، فضلا عن ما يحاول «الأمين» إنتزاعه عنوة عندما يفتح الحزم و يقلب البضائع. لذا فالأفضل منحه مقدما مقدارا من المال، و كذلك الباشا، و هو ابن جيكالو قائد مسينا ذاك رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١١٧

الذى لم يتورع عن أخذ بعض الثياب مدعيا شراءها على حسابه، و كان ثمنها يبلغ نحو ٦٢ من فئة الدراهم البندقية.

و خلاصة القول أننا عوملنا فى هذه المدينة بخشونة فائقة أكثر من أى بلد آخر، و لكانت أمورنا أتعس بكثير لو لا حماية اسكندر الآغا التابع للباشا الذى أكرم مثوانا سواء عند الباشا أو فى الكمرى، و فى الأماكن الأخرى إلى أن أبحرنا إلى هرمز. و أضاف الرجل إلى حسناته حسنة جديدة عند ما علم عن طريق الباشا خبرا وصل إليه آنذاك و مفاده أن بعض القراصنة المدعويين «نوتيكي» ينهبون البضائع و يقتلون الناس و يغرقون السفن. و كانوا بأعداد كبيرة فى تلك الأيام ينشرون الرعب فى تلك الأطراف. فلما علم الرجل - أى الآغا- بهذا النبأ أسرع فأخبرنا و نصحنا بعد الاقلاع حتى أشعار آخر. لذا بقينا هناك بسبب هؤلاء القراصنة.

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١١٨

تجارة الهنود فى البصرة

فى السادس و العشرين من آذار تعرفنا على بعض التجار الوثنيين من الذين يقال لهم «أهل بنيان» قدموا من مدينة تدعى «كمباجا» و هى مدينة وثنية أيضا. و يتناول أهلها عادة الرز و الخبز و الحليب، و لا يتناولون أكثر من وجبة واحدة فى اليوم. و هم لا يأكلون لحوم الحيوانات من أى نوع كان، بل و لا يقبلون بذبحها، و إذا وجدوا البراغيث أو الحشرات الأخرى فإنهم يضعونها على ورقة و يطلقونها فى الجو. و أكثر من ذلك كله أنهم عندما كانوا فى البصرة و رأوا الأهالى يصيدون الفئران عمدوا إلى شرائها و اطلاق سبيلها!

هؤلاء القوم لا يطلقون لحاهم أى أنهم يحلقونها، أما بالنسبة إلى الشوارب فمنهم من يطلقها و يحرص على أن تكون عريضة و كثة، و بعضهم لا يهتم بها البتة. لكنهم يتركون شعر رؤوسهم ينمو و يطول جدا و يلمونه تحت الشاشية الصغيرة التى يغطون بها رؤوسهم. و أخيرا

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١١٩

يرتدى هؤلاء الناس القماش الموصلى الأبيض، و ثيابهم طويلة جدا لذا يجمعون اذبالها عند الصدر.

لعتهم خشنة على الطريقة الهندية، و لهم سحنة سمراء، لكنهم ليسوا سودا.

عندما يتوفى أحدهم يقوم ذووه بحرق جثته. و ما يتبقى من رماد جثمانه يذرى فى النار و الهواء و القسم الباقى يوارى فى الأرض، لأنهم يعتقدون أن الإنسان مكون من أربعة عناصر، و لذا يجب أن تسترجع هذه العناصر حصصها منه بعد الموت.

فى السابع و العشرين من آذار قطع الباشا بحد السيف رقاب ثمانية من هؤلاء البنانيين لأنهم شتموا الدين الإسلامى.

بعد أن تكلمت ما يكفى عن عادات البصرة و تقاليدها، و عن موقعها، يليق بنا أن نقول شيئا عن الموازين و المقاييس المتداولة فيها.

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٢١

الفصل الحادى عشر الأوزان و النقود و المقاييس فى مدينة البصرة

الأوزان

المن الواحد فى البصرة يساوى فى حلب خمسة أرتال و أوقيتين و ثلثا. و إن تسعة عشر منا و ربعا يعادل القنطار الحلبي المكون من مئة رطل، أى فى وزن البندقية ٧٢٠ ليبرة بندقية.

القنطار البصرى الذى يتكون من عشرين منا، يعادل ١٠٤ أرتال حلبي، و هو يساوى ٧٤٨ ليبرة بندقية زائدا ٩ أوقيت بندقية أيضا.

و لكن من الضروري أن تعرف: إن التجار عندما يتباحثون فإنهم يتعاملون بالمن، و ينقصون من أوزان السلع لكل من بحسب النوعيات و بحسب التعامل المحلي.

المقاييس

أما مقاييس هذه المدينة فتجرى بحساب الأذرع، و هي رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٢٢ - أي الذراع - بالنسبة إلى أذرع حلب تقل بنسبة ١٨ بالمئة كالمقاييس المستعملة في بغداد بالضبط.

النقود

إن نقود هذه المدينة هي الفلوس النحاسية الكبيرة، و هي شبيهة بعمار الزيت في البندقية و يطلق عليها أسم «الاستيني»، و أن ١٢ منها تساوي مؤيدياً واحداً، و كذلك في حساب حلب، و تعادل أربع صولديات من نقودها. إن المؤيدي هو نقد من فضة شبيه بالصاد المتداول في هرمز، و يحمل نقشا تركيا على وجهيه. إن قطعتين من رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٢٣ فته المؤيدي تساويان داميناً واحداً. و يساوي في حساب حلب مؤيدياً و بحساب البندقية ثمانى صولديات. و الدامين المذكور هو من النقود الفضية و يشبه القرش لكنه أكبر منه، مع نقش تركي على وجهيه و أن اثنين و نصفاً منه يساويان شاهية واحدة و كذلك في الحساب الحلبي أي شاهية واحدة و بحساب البندقية ٢٠ صولدياً بالضبط. هذه الشاهية شبيهة بمثيلاتها في حلب، و أن شاهية واحدة زائداً ٢٠ استينا تساوي لاريناً واحداً، و بالحساب الحلبي ستة مؤيدات و نصف و أربعة فلوس، و بحساب البندقية ٢٦ صولدياً زائداً ٨ باكاتيني .

رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٢٤

إن اللاري المذكور هو نقد غريب المنظر حقا، فهو ليس مدورا كسائر النقود. إنه قطعة سميكة من الفضة يبلغ سمكها بقدر ريشة الأوز التي تستعمل في الكتابة، و طولها نحو نصف الربع . حافات أو رؤوس القطعة مطوية من جميع جهاتها إلى النصف (إلى منتصفها) و تجتمع في (نقطة) واحدة حيث توجد الكتابة التركية (أو الختم؟).

هذه اللارينات هي على نوعين: فبعضها ضرب في بلاد الأتراك و لذا فهي تحمل الختم التركي (العثماني) و الكتابة التركية و بعضها الآخر يسك في هرمز و عليه ختم ملك تلك المدينة. و أول من بدأ بسكه كان ملك اللر الذي كان عاهلاً قديراً ضمن بلاد فارس و هو شاه عباس اغتصب معظم أراضي مملكته، و لم يترك له غير بلد صغير واقع على البحر. و هذا الملك يضم عداوة للبرتغاليين لأنهم على علاقة حسنة بغيره ملك هرمز.

تعد اللارينات أفضل النقود المتداولة في طول الهند و عرضها. و إن ست لارينات تساوي بندقياً واحداً، و تساوي بالحساب الحلبي ٤ مؤيدي، و بالحساب البندقي ٨ ليرات.

البندقي الذهب أو بالأحرى السلطاني يساوي ٧

رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٢٥

لارينات و دانيماً واحداً، و بحساب حلب ٤٨ مؤيدياً و نصفاً و أربعة فلوس و بحساب البندقية ٩ ليرات و أربعة عشر صولدياً أو صولدياً و ثمانية من النقد الصغير .

يباع النقد البندقي بالوزن: كل ١٠٠ مثقال منه بثمان و ثمانين لارياً و تساوي ١٥٠ درهماً حليياً.

يجب الإنتباه إلى أن التجار عندما يتعاملون بالنقود فإنهم يتحدثون عن فئة مثقال التي تعادل ١٥٠ درهماً - بعمار - حلب كما سبق أن أشرت إلى ذلك. إلا انه في مدينة «فوجيو» Voceua فإن النقد الذي يستلم في القلعة بوزن مئة درهم تعطى عن كل مئة درهم خمس مؤيديات أقل مما في المدينة. مع العلم أنهم يسلمون المبلغ في فترة أربعين يوماً و بما يعادلها من الشاهيات أو اللارينات .

الضرائب

إن الضرائب في هذا المكان هي بمعدل ستة بالمئة عن مختلف أنواع البضائع، سواء أكانت عند الدخول أو المغادرة.

رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٢٦

كما أن الطواف و البواب يتسلمون ستة مؤيديات عن الرأس سواء عند القدوم أو عند الرحيل.

و إذا ترك شخص بضاعته في الكمر ك عند وصوله فإنه لا يدفع شيئاً عند خروجه، و لكن عندما يريدون بعد الإنتهاء من المعاملة أخذ البضائع استعداداً للرحيل فينبغي أن يعودوا و يقدموا للطواف و البواب ثلاثة مؤيديات عن البضائع عن كل رأس و لا يقع عليهم أى شيء آخر.

و قد يحدث أحيانا أن «الأمين» عند تقديره البضائع يحاول تقديرها أعلى من قيمتها و لا يكتفى بالتقدير المعقول، عندئذ بالإمكان أن يقال له أن يأخذ من البضاعة نفسها ما يعادل الستة بالمئة- بحسب تقديره نفسه- و في هذه الحالة لا تدفع له نقود المكس و هذه عادة جارية و مألوفة بأمر من السلطان.

بعد إيفاء الرسوم، لا بد من إتخاذ الأمور الضرورية و الإستعداد للرحيل، و لكن قبل فعل ذلك من الضروري جداً مطالبة الأمين بقائمة مفصلة مذيلة بختمه، يسجل فيها تفاصيل البضاعة كلها. و قبل مغادرة المدينة يحضر الأمين بنفسه للتدقيق، لكي في حالة العودة إلى المدينة مع بضائع أخرى لا- يعطى المجال لإنتزاع اتاوة أو أن يصبح التاجر ضحية مكيدة من المكائد التي هي من عادات أولئك الناس!

رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٢٧

الموازين من جديد

من المفيد أن تعلم أيضا أن مئة مثقال في مدينة البصرة تزن ١٧ أوقية و نصف (صغيرة) في حساب البندقية أما في حساب حلب- فكما بيناه- تعادل ١٥٠ درهما (وزنا).

القنطار الدمشقي و الطرابلسي و قوامه ١٠٠ رطل، أى ما يعادل ٦١٨ ليبرة (صغيرة) في مدينة البندقية.

القنطار الحلبي المذكور أعلاه و قوامه ١٠٠ رطل، يساوى ٧٢٠ ليبرة (صغيرة) في البندقية.

قنطار عمان و قوامه ١٠٠ رطل يساوى ٧٤٠ ليبرة (صغيرة) في حساب البندقية.

أجور السفن

يتم تخمين أجره السفن في مدينة البصرة إلى هرمز، على متن السفن المسماة «طرادات» و ذلك حسب حجمها:

رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٢٨

طراة الحمل حجم عشر كرات تؤجر بمئة و ثمانين لاريا.

حجم خمسة عشر بمئتين و سبعين لاريا.

حجم عشرين كاره بثلاثمئة و ستين لاريا.

حجم ثلاثين كاره بخمسمئة و أربعين لاريا، و يجب أن نعلم أن «الكاره» تساوى أربعة قناطير بوزن البصرة.

و يعطون للناخذاء ، و هذا هو لقب صاحب الطراة أى السفينة، عن التحميل قنطارا واحدا، و إلى بقيه الملاحين ثلاثة قناطير. فالمجموع الكلى إذا أربعة قناطير. و بعد دفع المبالغ المذكورة عن الأجور، لا تدفع بعدئذ نفقات أخرى للمعيشة، و لكن يلزم أن نشرح هذه الأمور بوضوح فى إتفاقية إستئجار الطراة بحيث لا يجوز تحميل رطل واحد أكثر من المتفق عليه؛ لأنه إذا ما رأوا فى هرمز أن هؤلاء الناخذاء حملوا السفن أكثر مما هو متفق عليه يحاسبون و يتم إيقافهم. و هذا إجراء جيد لإيقافهم عند حدهم. فنحن فى هرمز كأننا فى بلدنا ، و هناك فى هرمز لا يبالون بأمثال

رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٢٩

هؤلاء. و بهذه الطريقة يعملون على ردعهم و يضعون حدا لطمعهم، لأنهم طمعا بالريح كانوا يحملون المراكب فوق طاقتها دون مبالاة إلى ما فى ذلك من خطر على الأرواح و على السفن و نحن نشهد على كل ذلك فقد كنا نفقد الحياة و المال فى رحلتنا.

و خلاصة القول أن هؤلاء عندما يبحرون بطريق النازل أى طريق الذهاب يعرفون عز المعرفة أنهم تحت طائلة المحاسبة فى هرمز إذا ما

وجد في سفنهم أكثر من الحمولة فسينالهم عقاب صارم إضافة إلى الغرامة التي سوف تؤخذ منهم عن الحمولة الزائدة لذا فمن الضروري أن يتم الإتفاق ببطنة و بحضور الأمين أو أحد الشخصا المعترين من أهل البلد. و بهذا الكفاية في موضوع الموازين و النقود و المقاييس و لنا عودة إليه في الفصل الرابع و الأربعين عندما سنتكلم عن طريق الاياب من جزيرة هرمز إلى البصرة.

رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٣١

الفصل الثاني عشر الإبحار من البصرة إلى جزيرة هرمز

الحمام الزاجل

لا أظن أن الكلام الآتي سيعيد خارج موضوع الرحلة، إذ يطيب لي قبل أن أضع خاتمة الفصل الخاص بأهم أخبار البصرة، أن أروى أمرا لعل بعض الناس لا يصدقونه، ولكنه حقيقي، و مفاده أن بعض التجار الذين يتعاملون بين البصرة و بغداد يحضرون معهم من بغداد بعض أنواع الحمام، لأنها كثيرة في تلك المدينة. و عندما ينقلون الحمام داخل أقفاص، لا يدعون الضوء يتسرب إليها بكثرة. فعندما يصلون إلى البصرة يحبسون الحمام في غرفة إلى أن تحين الفرصة ليتصلوا بجماعتهم في بغداد من أجل أطلاعهم على هبوط أسعار التوابل أو صعودها في سوق البصرة، فيكتبون رسالة و يربطونها تحت جناح الحمامة. و لكي لا تضيع المعالم على الحمام فلا ترجع إلى البيت الذي تربت فيه، يخرج التجار إلى خارج المدينة مسافة ميل تقريبا، و يطلقون

رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٣٢

الحمام من هناك ، فيصل إلى بغداد في اليوم نفسه فعندما يلاحظ صاحب البيت وصول الحمام يخرج الرسالة و يطلع على فحواها، و هكذا يتعرف تجار بغداد على شؤون السوق بطريقة سهلة لا تكلفهم شيئا مع المحافظة على السرية في الوقت نفسه، و هذا أمر جليل الفائدة لهؤلاء التجار.

مغادرة البصرة

بعد أن أدينا ما علينا من رسوم، و قدمنا الهبات الضرورية في البصرة، ثم تحرينا عن شؤون البحر فتأكدنا من إستتباب الأمن فيه، عندئذ استأجرنا على بركة الله إحدى السفن من النوع الذي يمخر ما بين البصرة و هرمز، و ذلك في اليوم التاسع من نيسان (١٥٨٠) و قد استأجرنا السفينة باكملها من العنبار إلى السطح، لأنهم يحجزون عادة العنبار

رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٣٣

لتعبته بالتمور. أما المبلغ الذي اتفقنا عليه فهو ٢٠٠ لاريا، و نحن نعلم أن هذا المبلغ هو أعلى من المؤلف لكننا اضطررنا إلى ذلك لأن السفن رفضت الخروج إلى عرض البحر خوفا من القراصنة، لأن عددا كبيرا من السفن كان تم استئجاره و كانت متأهبة للرحيل لكنها لم تقلع للسبب المذكور، إذ كان القراصنة يجوبون البحار و ينهبون كل ما تصل إليه ايديهم.

حملنا الضائع في السفينة و في مساء الحادي و العشرين من نيسان صععدنا على السفينة، و في صباح اليوم التالي تركنا قناة البصرة و توجهنا إلى نهر دجلة الكبير الذي يوجد على ضفته ضريح أحد أوليائهم، و يسمى ذلك المكان «سيكالي» Siccali و من عادات الملاحين أنهم حين وصولهم إلى هذا الموضع يطلبون تبرعا من التجار فيتصدقون من أموال الآخرين على الضريح المذكور.

دخلنا النهر، و إذ كانت المياه يارتفاع بسبب المد لذلك أوقفنا السفن. و كان برفقتنا سبع سفن أخرى فضلا عن سفينتنا، و لم نستطع التقدم نحو البحر إلى أن بدا الماء بالهبوط أو الإنحسار بعد منتصف النهار، عندئذ بدأنا بالتقدم

رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٣٤

قليلا بالرغم من معاكسة الريح لنا. و أخيرا توغلنا إلى العمق مع حلول المساء فقضينا ليلتنا الأولى في البحر.

ما يجب معرفته بصدد السفن، أننا عندما نريد سحب سفينة نربط حبالا بكوئل القارب الساحب و نربطه بين الخشبتين (٤).

في صباح اليوم التالي و هو ٢٣ نيسان استعملنا الأشرعة و ساعدتنا لحسن الحظ ريح الشمال فوجدنا في وسط النهر بعد مسيرة قليلة جزيرة بها بيوت تسمى «فوجيادي» Fugiadi حيث شاهدنا عددا كبيرا من المراكب الشبيهة بسفننا و كانت تمخر بين هرمز و البصرة

أو العكس.

وصف السفينة

قبل أن استطرد في الكلام، أرى من المفيد في هذا الصدد أن أتكلم قليلا على هذه السفن التي تمخر بين البصرة وهرمز، فهي مقعرة الأسفل ولا غطاء لها، صدرها ملموم وكذلك مؤخرتها والجزء الذي يشق الماء عريض، لكنه أقل عرضا من تلك السفن التي يقال لها «قره موسالي» مع العلم أن الكوثل هو أعلى من الصدر، وأن الدفة مربوطة إلى

رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٣٥

الكوثل أي في المؤخرة بحبال مجدولة من سعف النخل، وهي مشدودة بقوة ولذلك فإن الدفة لا تتحرك إلى الجهتين أكثر من مسافة أصبعين لا غير، لكن هذه الحركة البسيطة كافية جدًا لإدارتها؛ لأن هذه الأنواع من الدفات دقيقة في الأعلى و كأنها قطعة واحدة مع الكوثل من سطح الماء إلى فوق فتظهران شيئًا واحدًا.

أما طريقة قيادة الدفة فتتم بقطعة خشب ظاهرة فوق الماء يلف طولها أكثر من ذراع مثبتة من وسطها في طرفي الدفة، و يوجد حبل مربوط بهذه الخشبة من جهتها البارزتين، و بالإمكان سحبها بحسب الحاجة إلى اليسار و إلى اليمين، و الحبلان مربوطان إلى لوح مثبت في السفينة من جهتها أيضا، و يمر هذا اللوح تحت الكوثل و يبرز قليلا من الجهتين بقدر خطوة واحدة.

يجلس الربان على لوح في الوسط و يمسك الحبلين بيده فيجر هذا الحبل تارة و الحبل الآخر تارة أخرى بحسب الضرورة التي تستوجبها قيادة السفينة.

تقوم الساريات في وسط السفينة، أما الأشرعة المستعملة فتشبه أشرعة سفننا التي نسميها «المربعة» و قد مر ذكرها، و عندما لا تضرب الريح مؤخرة السفينة يضعون شراعا صغيرا يطلقون عليه اسم «سمبوسة» لأنه شراع مساعد

رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٣٦

و يمكن أن يشرع من هذه الجهة أو تلك حسب هبوب الريح و إتجاهها و قد يربط إلى الشراع الكبير أيضا.

إن الحبل الذي يستعمل لسحب الشراع إلى الأعلى يضعونه عند المؤخرة مربوطا بالخشبة التي مر الكلام عنها أي تلك التي يجلس عليها الربان، بعكس العادة المعمول بها عندنا إذ تتركه عند السارية.

يوجد فوق المؤخرة موضع مغطى بأخشاب و حصران يبلغ ارتفاعه أكثر من ثلاثة أذرع و يشبه ما هو موجود في السفينة المسماة «قره موسالي» التي ورد ذكرها قبل قليل.

ترتفع في مؤخرة السفينة أربعة أعلام كبيرة. إثنان من كل جهة إضافة إلى علم آخر في الوسط لكنه أصغر من الأعلام الأخرى.

تحمل كل سفينة أو طرادة قطعتين من حديد في المقدمة في الصدر بصفة مرساة لإيقاف المركب عند الحاجة و ذلك بإنزال المرساة إلى الأسفل بالحبال.

يصنع الشراع من قماش غليظ كالقنب، و تكون الأشرعة على أنواع فمنها كبيرة و منها صغيرة حسب الحاجة.

يحملون في السفينة بيرقا أو عمودا يثبت في جهة السفينة اليسرى في المقدمة و لعله يفيد كعامل توازن.

رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٣٧

كما يحملون أيضا موقدا يضعونه قريبا من السارية من جهة الكوثل بين صندوقين مخيطين و مشدودين بحبال قوية، و لا يطفى الصندوق بالقيير لكنهم يستعملون عوضه دهن السمك و يملأون الصندوقين بالماء العذب و يحافظون عليه بإهتمام إذ يستعملون هذا الماء للشرب و الطبخ و لأن الصندوقين مطليين بدهن السمك فإنهما يحافظان على الماء جيدا. و يطلق على الصندوق اسم «تانجي» .

هذه السفن مربوطة بالحبال و بمسامير مصنوعة من الخشب و فائدة هذه الطريقة هي المحافظة على السفينة فلا تتحطم بسهولة إذا ما اصطدمت كما لو كانت مصنوعة بمسامير حديد.

إنها بالحقيقة أقوى و أكثر إستعدادا للحوادث التي قد تصادفها في البحر. و من أجل إعدادها لهذه الحالات فإن السفن مبطنه من الداخل بسعف النخيل، و هذه البطانة ليست متصلة مباشرة بجسم الفينة أو قعرها بل تفصلها فواصل، لذا فعند تسرب الماء قليلا إلى الباطن يبقى في قعرها تحت هذه البطانة.

رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٣٨

يربطون إلى صدر السفينة قاربا صغيرا. و لكى لا ينصب إهتمام ربان السفينة على القارب، فإنهم يعينون عاملا خاصا يهتم بنشر الشارع الخاص به عند الحاجة أى عند هبوب الريح. أعتقد أنى أطلت الكلام دون أن أدري فى شرح أمور هذه السفن. لهذا فلندع هذا الموضوع و لنعد إلى وصف رحلتنا.

تكملة الرحلة

لنعد الآن إلى الحديث عن رحلتنا إلى هرمز، فأقول: اننا و اصلنا الأبحار، فى الثانى و العشرين من نيسان نحو منتصف الليل وصلنا جزيرة كبيرة جدًا و جميلة للغاية و عامرة بأشجار النخيل تدعى «فيجادة» و كانت كل الأراضى إزاء الجزيرة أى على ضفتى النهر خصبة و مزروعة. كان مجرى النهر فى ذلك الموضع واسعًا جدًا شبيها بمجرى نهر النيل. و هناك يتفرع من النهر جدول يجرى فى أرض «بيرين» (اسجونفان) ثم يصب فى البحر الذى

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٣٩

يصطاد منه الناس اللؤلؤ. و لكون ذلك الفرع قليل العمق فهو لا يفيد لسفینتنا، لذلك لم نتوغل فيه بل بقينا فى النهر الكبير. و عند حلول المساء توقفنا عند رأس جزيرة تقع بالقرب من البحر الذى هو الخليج. فى الساعة الواحدة من صباح اليوم التالى توغلنا فى البحر و كان هادئا جدًا. لذا لم نستطع قطع مسافة طويلة لإنعدام الريح. و فى منتصف النهار هبت ریح سموم شرقية قوية للغاية و كانت معاكسة لنا، حتى اقتضت الحالة أن ننزل المراسى من الجهات الأربع فى موضع إزاء بلاد العرب الواقعة إلى اليمين فعن يسارنا تقع أرض فارس.

فى صباح اليوم التالى و هو ٢٥ من الشهر المذكور، سرنا سيرا حسنا منذ بزوغ الشمس تدفعا ریح الجرياء الطيبة. و كانت مقدمة السفينة تمخر البحر بخيلا! و بعد شروق الشمس بساعة كنا قد وصلنا إلى المنطقة التى تنتهى فيها السيطرة التركية. لم يكن لأولئك الملاحين بوصلات، لذلك كنا نسير و وجهتنا قبالة الأرض العربية، و علينا فى الوقت نفسه تجنب الصخور الموجودة تحت سطح الماء فى الناحية الأخرى التى هى جهة بلاد فارس. و تمتد هذه الصخور مسافة طويلة تحت سطح الماء نحو ستة أميال، و يطلق عليها أسم «رأس الخان».

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٤٠

و لما كانت الرياح الشمالية حسنة فقد أكملنا سيرنا حتى منتصف الليل. و لكن بعد ذلك هبت رياح عاتية فتملكنا الفزع من أن تبتلعنا الأمواج. و لشدة الرياح انسكب ماء الشرب المحفوظ فى أحد الصندوقين، و تقطعت الجبال المربوطة إلى الدفة، و بالكاد أستطعنا أن نحافظ على سلامة الشراع. فبقيت السفينة بلا قيادة و زاد الخطر أكثر من السابق فشرعنا نصلى! و أخيرا توقفت الريح و هدأ البحر نحو الساعة ٢١ من اليوم السابع و العشرين من ذلك التشهر فأكملنا السير طوال الليل.

صباح اليوم التالى و هو ٢٨ من الشهر وصلنا إلى موضع يقع إلى اليسار أى قرب الشواطئ الفارسية و هى جزيرة يقال لها «الجبل». هناك غطس رباننا فى البحر لأنه لاحظ وجود ثقب فى المركب كان الماء يتسرب منه. فأدخل فى الثقب قطعة خشب مصنوعة خصيصا لسد مثل هذه الثقوب يبلغ طولها نصف ذراع، و يلف فى رأسها شعر - ذيل - حصان. فالرجل الذى يغطس فى الماء يذهب إلى موضع الثقب فى السفينة و ما أن يمد الخشبة المذكورة حتى يجذب الثقب الشعيرات فيدفع الخشبة حالا. إنه امر عجيب حقا بهذه الطريقة يعرف صاحب السفينة أين هى العيوب فى سفينته فيعالجها حالا كما حدث فى سفینتنا. و أضيف بهذا الصدد شيئا آخر عن هؤلاء الملاحين، فهم عند الغطس

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٤١

يضعون على الأنف قطعة من قرن الجدى تطبق على المنخرين بقوة. و الأمر الذى لا يصدق أن أمثال هؤلاء الغطاسين يبقون مدة طويلة تحت الماء، و هذه حقيقة رأيتها بأم عيني!

(يكمل بالبي الحديث عن رحلته إلى هرمز) .. و أخيرا وصلنا إلى ميناء هرمز، و استغرق السفر من البصرة إلى هنا ٣١ يوما، لأننا غادرنا البصرة فى ٩ نيسان ١٥٨٠ و فى العاشر من أيار وصلنا إلى هرمز.

إن المقاييس المستعملة في هرمز تكبر بنسبة ٢٥ وثلثين بالمئة نسبة إلى تلك المقاييس المتداولة في بغداد و البصرة. فإذا حملت إلى هرمز مئة ذراع قماش أو أى شىء آخر أخذته على قياس بغداد أو البصرة فإنه سيصبح بحساب هرمز ١٢٥ كوفادى زائدا ثلثين من هذا المقياس.

(خصص بالبي الفصل السادس عشر في الحديث عن

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٤٢

أجور المراكب من هرمز إلى الهند، وهذا الفصل لا يهمننا، ثم سرد في قائمة طويلة أسعار مختلف التوابل و المواد التجارية المهمة مقابلها. إياها بالنقود البندقية (ص ١٢٥ - ١٢٨ من النص الإيطالى) و لو قارن صاحبنا هذه الأسعار بنقود البصرة أو بغداد المتداولة آنذاك لعمدت إلى ترجمتها إلى العربية لفائدة الباحثين لكنه لم يفعل).

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٤٣

الفصل الثالث عشر العودة من البصرة إلى بغداد فى نهر دجلة

إشارة

أخيرا وصلنا إلى البصرة بعد اثنين و عشرين يوما منذ مغادرتنا هرمز . و بعد أن أمضينا ثمانية عشر يوما فى البصرة، و أدينا ما علينا من رسوم أكملنا الإستعدادات الضرورية لرحلة العودة، و كانت مجموعة السفن المهيأة للرحيل نحو خمسين سفينة. و أقمنا رئيسا للكار . له سلطة الأمر و النهى على السفن كلها. و يقال لهذا الرئيس فى التعبير المحلى «كروان باشى» و كان رجلا ماهرا له خبرة واسعة فى طبيعة تلك المناطق و كان يعرف جيدا المواضع التى يكمن فيها اللصوص.

فلما وصلنا إلى قلعة القرنة توقفنا لندفع شاهيين عن

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٤٤

كل سفينة فهذه هى العادة الجارية، و استلمنا ورقة تشهد بأننا أدينا ما يتوجب علينا من رسوم، و لذا نستطيع المرور.

و يتم التوقيع على هذه الشهادة فى كل مكان يتوجب علينا فيه دفع الرسوم.

و لما وصلنا إلى «الزكية» دفعنا خمس شاهيات و قطعيتين من فئة المؤيدى عن المركب و عن «التيزال» و هى قوارب صغيرة تؤخذ فى السفر لإنزال البضائع فيها إذا حدث لسوء حظ المسافرين ارتطام إحدى السفن بموضع ضحل.

ففى هذا الوقت من السنة تكون المياه منخفضة فى نهر دجلة. و ندفع عن هذه القوارب الصغيرة سبع قطع من فئة المؤيدى. و لهذا عندما يسلمون الشهادات - أى الوصولات - عن السفن يذكرون فيها عدد القوارب أيضا.

أما فى «كرت» Chert فإنهم يستوفون أربع قطع من فئة البندقيات على اعتبار أن كل بندقية تعادل ٨ شاهيات، أعنى أننا ندفع عن السفينة أربع شاهيات و مؤيدى و عن القارب الملحق أى ضمن التيزال ١٧ شاهيا. و فى هذا الموقع يعطون للمسافرين تذكرة .

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٤٥

و فى «العمارة» تستوفى ثلاث شاهيات عن الحمل الواحد، لكنهم هنا لا يعدون الأحمال بل يكتفون بتقدير عددها فى كل سفينة لكى لا ينزلوا البضائع من على متن السفينة؛ اما عن القوارب الملحقة فيستوفون ٢٢ مؤيديا.

أما فى «الجديدة» فيأخذون ١٧ شاهية عن السفينة يدفع التاجر منها تسع شاهيات و الباقية على صاحب المركب.

إنهم يطلبون الشهادة التى ذكرناها سابقا لسببين:

الأول - لفائدة التاجر على أنه أدى ما عليه من رسوم فى كل الأماكن التى مر بها. و السبب الثانى - لخير السفن نفسها: إذ ينبغى على التاجر تسليم جميع الشهادات (أى الوصولات) التى جمعها إلى أصحاب السفن من أجل إبرازها فى طريق الرجوع إلى أماكنهم فتشهد على أنهم دفعوا كل الرسوم المترتبة عليهم. و بعكس ذلك يتوجب عليهم الرسوم ثانية إذا أرادوا المرور.

الوصول إلى بغداد

أستغرق السفر من البصرة إلى بغداد ثمانية و ثلاثين يوما. تملكنا الخوف خلال هذه الأيام تارة من قطاع الطرق، و تارة أخرى خوفا من

الغرق، لأن السفن كانت تصطدم الواحدة بالأخرى خاصة عند نشر الأشرعة إذ تدفعها الرياح أو عندما تحاول إحدى السفن السباق مع الأخرى!

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٤٦

أخيرا وبعون الله وصلنا بغداد فى الثالث والعشرين من شهر تشرين الأول (سنة ١٥٨٧) و كان يحكمها آنذاك الوزير التركى سنان باشا بن القبطان جيكالالا-الصقلى .. فقدمنا له طائرا فريدا يسمى (حورى) و هو من أجمل الطيور التى بالإمكان الحصول عليه لتنوع الوان ريشه، ولأنه ينطق على شاكلة البيغاء، و قد حملناه من الهند، لكن موطنه الأصلي فى (ملقة) حيث منشأ القرنفل. قدمنا للباشا ثلاث شاشيات ليعمم بها رأسه .. و لما كان هذا الوالى يرفعى الإيطاليين بصورة خاصة، فقد أظهر لنا التفاتا عاليا و قدم لنا مساعدة منقطعة النظر.

بعد أن استقرت سفننا الواحدة بجانب الأخرى فى صف واحد كما هى العادة، قدم موظفو (التمغة) العاملون فى الكمر ك كما حضر كتبخدا الوالى و تبعه الدفتردار

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٤٧

و شرعوا بأفراغ السفن من الأحمال، الواحدة بعد الأخرى، فلما انتهوا من إنزالها شرعوا بالتخمين و هنا يجب إيفاء الرسوم خلال عشرين يوما أو شهر و لا بأس خلال شهرين حسب ما يكون الجبابة بحاجة إلى المال.

رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٤٩

المصادر والمراجع

- باقر، طه و سفر، فؤاد: المرشد إلى مواطن الآثار و الحضارة، الرحلة الأولى: بغداد- عنه- القائم، بغداد، ١٩٦٢.
- الجاحظ: كتاب الحيوان، فى مجلدين، شرح و تحقيق د. يحيى الشامى، بيروت ١٩٩٧.
- الحديثى، فرحان أحمد سعيد، آل ربيعة الطائيون، بيروت- الدار العربية للموسوعات ١٩٨٣.
- الحموى، ياقوت: معجم البلدان ط. و يستيفيلد.
- الدجيلى، كاظم: السفن فى العراق، مجلة لغة العرب ٢: ٩٣-١٠٤، ١٥٢-١٥٦.
- الدميرى، كمال الدين: كتاب حياة الحيوان الكبرى، فى مجلدين القاهرة، ١٣٤٧ هـ.
- دوزى، رينهارة: تكملة المعاجم العربية، ترجمة د. سليم النعيمى. بغداد (١١ جزء).
- رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٥٠
- ديلافاليه: رحلة ديلافاليه إلى العراق، ترجمة الأب د. بطرس حداد، بغداد- ٢٠٠١.
- سر كيسى، يعقوب، مباحث عراقية، ج ١ (بغداد ١٩٤٨) ج ٢ (بغداد- ١٩٥٥) ج ٣ (بغداد- ١٩٨١).
- نظرة فى كتاب النقود و علم النميات، مجلة المجمع العلمى العراق، ج ١ (١٩٥٠) ص ٢٥٢-٢٩٤.
- العزاوى، عباس: تاريخ النقود العراقية، بغداد- ١٩٥٨.
- فيدرىجى: رحلة فيدرىجى إلى العراق، مجلة المورد (١٩٨٩) العدد ٤ ص ١٩٦٣.
- الكرملى، الأب انتستاس: النقود و علم النميات، القاهرة- ١٩٣٩.
- المعاضيدى د. خاشع: من بعض أنساب العرب:
- أعالى الفرات، بغداد- ١٩٨٦.
- معلوف د. أمين: معجم الحيوان (بيروت- بلا تاريخ).
- موزيل، الوا: الفرات الأوسط، رحلة وصفية و دراسات تاريخية، ترجمة د. صدقى حمدى و عبد المطلب عبد الرحمن داود، مطبوعات المجمع العلمى العراقى، بغداد ١٩٩٠.
- رحلة الإيطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٥١
- نظمى زاده مرتضى: كلش خلفا، ترجمة د. موسى كاظم نورس، النجف ١٩٧١.

Idem: Narrative of the Euphrates expedition, London –

١٩٦٨ .

.Musil, A: The Middle Euphrates, New York ١٩٢٩ . A –

VIAGGIO DELL'INDIE ORIENTALI DI GASPARO BALBI –

GIOILLERO VENETIANO –

Traduzione araba –

P. BUTRUS HADDAD –

Baghdad ٢٠٠٢ –

رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٥٣

الفهارس العامة

إشارة

١- فهرس الأعلام.

٢- فهرس الأماكن.

٣- فهرس عمراني.

٤- فهرس الكتاب.

رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٥٥

فهرس الأعلام

أبو ريشة «أمير» ٥٢، ٥٣، ٦٣، ٦٩، ٨٨

أولغا بيتنو ١٣

بالبي (الرحالة) ٥، ٦، ٧، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٤، ١٧، ١٤١

بنيان (قوم) ١١٨، ١١٩

تكسيرا (رحالة) ٥٣

توما (القديس) ٢٠

جغالة ازاده ١١٦، ١٤٦

جيسني (رحالة) ٢٩، ٣٤، ٣٦، ٣٧، ٤٤، ٤٦، ٤٨، ٥٧، ٥٩، ٦٠، ٦٢، ٦٥

خواجه بكر ٣٣

ديلافاليه (رحالة) ١٩، ٢٢، ٥٢، ٩١، ١١٧، ١٤٦

راوولف (رحالة) ٢٩، ٣١، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٩، ٤٤، ٤٦، ٤٩

شيخو، بولس (الأب)

عباس (الشاه) ١٢٤

العزوي (عباس) ٤٢، ١٣٤

عواد، كوركيس ١٤، ٥٤

فرحان، أحمد ١٥، ٥٣، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٥، ٧٨

فيدريجي (رحالة) ١١، ١٢، ١٣، ٢٢، ٢٦، ٥٢، ٩٣، ٩٦، ١١٥

رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٥٦

الكرملى، انستاس (الأب) ١٢٢، ٤٢
 لونكريك ١٤، ٥٣، ٧٥
 محمود الثانى (سلطان)
 يعقوب سر كيس ١٤، ٤٢، ٩٩، ١٠٧، ١٢٢
 رحلة الإيطالى كاسبارو بالي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٥٧

فهرس الأماكن

آلوس ٦٤
 أبو شابور ٦٢
 أسبانيا ٦
 إيطاليا ٥، ٩٩، ١٠٨
 إيوان كسرى ١٠٥
 الباب ٢١
 البارة ٦١
 باصبلية ٦٠
 باليس ٣٢، ٥٢
 بجياديت (بغداد) ٩١
 برج نمرود ٩٥
 البرتغال ٦
 بزينة ٨٦
 بسطامية ٨٦
 البصرة ٩، ١١، ٢٠، ٣٠، ٧٨، ١٠٣، ١٠٥، ١٠٧، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٨، ١١٩، ١٢١، ١٢٢، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤،
 ١٣٨، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٥
 بغداد ٩، ١٠، ١١، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٤، ٣٠، ٤٢، ٥٨، ٦٢، ٦٨، ٦٩، ٧٢، ٧٥، ٧٧، ٧٩، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٩، ٩١، ٩٢، ٩٣،
 ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٨، ١٠٠، ١٠٣
 رحلة الإيطالى كاسبارو بالي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٥٨
 ١٠٤، ١١٢، ١١٧، ١١٨، ١٢٢، ١٣١، ١٤١، ١٤٢، ١٤٥، ١٤٦
 بكديات (بغداد) ٩١
 بلدكو (بغداد) ٩١
 بلد سوريا ٣٤
 بليس ٣٢
 البندقية ٥، ٦، ١٠، ١١، ١٢، ١٤، ١٩، ٢٤، ٢٥، ٢٧، ٣٥، ٥٤، ٨٧، ٩٧، ٩٨، ١٠٤، ١٠٨، ١٠٩، ١١٧، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣
 بيره جك ٩، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٩، ٣٠، ٥١، ٥٢، ٧٢، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ١٠٣
 بيكو ٢٠
 تليس ٥٧
 جار جولا ٦٨
 جبة ٣٥، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨
 جر كيس ٢٩

- جرمة ٦٠
 جزيرة ٦٨
 جليى ٣٧، ٤٨
 جيلمه ٦٠
 الحديثه ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٨٣
 حلب ٦، ٩، ١٠، ١١، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٣، ٢٤، ٧٩، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٩، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٧
 الحمام ٣٤
 خرائب ٦٨
 خواجا أبو العينا ٣٧
 دار الرقيق ٨٥، ٩٣
 دمشق ٩١
 دور الفز ٨٤
 دولاب ١٠٦
 الدير ٣٨، ٤١، ٤٣، ٤٨، ٥٢، ٨٨
 دير الزور ٣٩، ٤٣
 دير القايم ٤٧
 ديره ٦٠
 ديو ٢٠
 رحلة الايطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٥٩
 الرحبه ٤٣، ٤٨، ٥٢، ٨٨
 الرقه ٣٥، ٣٦، ٥٢، ٦٨، ٨٨
 زييده ٦١
 زعفران ٤٨
 الزكيه ١٤٤
 زيره ٥٩
 زيريزه ٦٨
 ساجور ٢٢
 سان تومى ٢٠
 سلبى ٣٧
 السنديه ٨٢
 سوريش ٣٤
 سوق السلطان ٤٤
 سوق النصير ٣١
 سيا ٦٠
 سيما ٤٧
 سيميا ٦٠
 الشام ٦
 شيخ ايته ٦٣

- شيخ حديد ٦٢
 صفره ٦٨
 الطرف الطويل ٣٨
 عامريه ٦١
 عدليه ٥٩
 عراضه ٦١
 عشاره ٥٢، ٨٨
 عقروق ٨٣
 العمارة ١٠٦، ١٥٤
 عنه ٩، ٢٧، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٧، ٥٨، ٦٢، ٨٨
 غوا ٢٠
 فخريه ٨٢
 الفلوجه ٩، ٢٢، ٧١، ٧٢، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨١، ٨٢، ٨٤، ٨٩، ١٠٣
 فوق البيره ٦١
 القائم ٩، ٤٧
 القاهره ٤٢، ٤٥، ١٣٢
 قبور النصارى ٦٣
 القرنه ١١٠، ١١١، ١٤٣
 القصبه ٣٧
 قلعه جابر ٣٤
 رحله الايطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٦٠
 قلعه جعبر ٣٤
 قلعه النجم ٣١
 كبين ٥٩
 كبرى ٢٩
 كمباجا ١١٨
 كوت العمارة ١٠٦
 كوجى ٢٠
 كيافول ٢٠
 مالين ٧٣
 ماردين ٤٣
 مسكدون ٨٣
 مكساره ٢٩
 ميسارافى ٣٢
 ميناء السلسله ٣٨، ٤١
 ميزتانا ٤٩، ٥٢
 ناريسا ٨٢
 الناصريه ٦٠

ناؤوسة ٦٨

هذرتا ٦٠

هرمز ٩، ١١، ٢٠، ٧٨، ١١٦، ١١٧، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٨، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣

هيت ٩، ٢٥، ٦٩، ٧١، ٧٢، ٧٨، ٨٩

رحلة الايطالى كاسبارو بالي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٦١

فهرس عمرانى

أجور السفن ١٢٧

الاخدر (حيوان) ١١١

الأسود ٧٥، ٨٢، ١٠٧

الأمين (موظف) ٢٤، ٥٣، ٥٥، ٩٩، ١٠١، ١١٦، ١٢٦، ١٢٩

انكشارى ٢٣، ٨١

باشا ٤١، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ١١٦، ١١٧

بلشون (حيوان) ٧٨

بلقشة (حيوان) ٧٨، ١٠٩

بنات الماء ٧٨

بياسترا (عملة) ٩٨

التيزال ١٤٤

تين ٤٤

جاويش ٣٠، ٨١

جوز ٥٥، ٦٩

الحمام الزاجل ١٣١

حرير ١٠٠

حورى (طير) ١٤٦

خمر عنه ٥٣

الخنازير ٧٤

دامين (عملة) ١٢٣

الدبية ٧٤

الدوكاه ٦، ٨٨، ٩٨، ١٠٧

الذراع ٣٥، ٤٢، ٩٨، ١٢٢، ١٢٤، ١٣٥، ١٤٠، ١٤١

زبيب ٤١، ٤٤، ٥٣، ٥٥

رحلة الايطالى كاسبارو بالي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٦٢

٦٣، ٦٥، ٦٩، ٨٧، ٨٨، ٨٩

سباهية ٩٤

سكر ٢٤، ٤١، ٥٤، ١١٠

السمان ١٠٩

السموسة ١٣٥

سنجق ٢٤، ٣٥، ٣٩، ٤١، ٤٣، ٤٤، ٥٢، ٦٣، ٦٤، ٦٧، ٦٩، ١٠٦، ١٠٧

- شاشية ١١٨
 شاهی (عملة) ٢٤، ٣٦، ٤٤، ٥٤، ٥٥، ٦٣، ٦٥، ٧٨، ٨٠، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١١١، ١٢٣، ١٢٥، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥
 شختور ٢٥
 شموع غسل ٢٤
 صابون حلب ٢٤، ٤١
 الصوباشي ٥٥
 صولودو (عملة) ١٢٢
 الطواف (موظف) ١٠٠، ١٢٦
 العتاييه (قماش) ١٠٠
 الفالة ١١٣
 فينتيم (عملة) ٥٥
 قلعة بغداد ٩٣
 القنطار البصري ١٢١
 القنطار البغدادي ٩٧
 القنطار الدمشقي ١٢٧
 القنطار الحلبي ٩٧، ١٢١، ١٢٧
 قنطار عمان ١٢٧
 قير هيت ٧٠
 كتبخدا ٢٤، ٤١، ٥٤، ٦٤، ١٤٦
 الكرد- كروود ٧٥، ١٠٦، ١٠٧
 الكركي ٧٨
 الكلک ٧٩
 الكماء
 الكوثل ٢٣، ٢٦، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٧
 لاری ١٢٤، ١٢٥، ١٢٨، ١٣٣
 لارين ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥
 رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٦٣
 المن البغدادي ٩٧
 المؤيدي ٥٤، ٧٨، ٨٧، ١٢٢، ١٢٣، ١٤٤
 الناخدا ١٢٨
 الناعور ٤٨، ٥١، ٦٢، ٦٤
 النورس ٧٨، ١٠٩
 الوعول ٤٧
 رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٦٥

فهرس المحتويات

- مقدمة المعرب ٥
 صاحب الرحلة ٥

الرحلة ٩

ملاحظات فى الرحلة ١٠ رحلة الايطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد ؛ ص ١٦٥

عات الكتاب ١٢

رحلة الجوهرى البندقى كاسبارو بالبي إلى الهند الشرقية ١٧

الفصل الأول: طريق الرحلة من البندقية إلى حلب ١٩

بدء السفر ٢١

الفصل الثانى: وصف الرحلة من حلب إلى بغداد ٢١

وصف قوارب بييره جك ٢٥

الرحيل ٢٩

دير الزور ٤١

رحلة الايطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٦٦

بلدة عنه ٥١

أبو ريشة ٥٢

الفصل الثالث: تكملة السفر من عنه إلى جبه ٥٧

الفصل الرابع: الطريق من جبه إلى الفلوجة ٦٧

هيت ٦٩

قير هيت ٧٠

أسعار القوارب ٧١

تكملة الرحلة ٧٣

الكرود ٧٥

الفلوجة ٧٧

الكلك ٧٩

الفصل الخامس: وصف الفلوجة حيث نزلنا للإنتلاق منها إلى بغداد و تكملة الرحلة ٧٩

على مشارف بغداد ٨١

آثار عقروقوف ٨٣

المصاريف من حلب إلى بغداد ٨٧

الفصل السادس: وصف بغداد و السفر إلى البصرة ٩١

قلعة بغداد ٩٣

الفصل السابع: وصف برج نمرود القريب من بغداد ٩٥

الموازين ٩٧

رحلة الايطالى كاسبارو بالبي / تعريب بطرس حداد، ص: ١٦٧

الفصل الثامن: الموازين و النقود و المقاييس فى بغداد ٩٧

المقاييس ٩٨

النقود ٩٨

الرسوم ٩٩

الفصل التاسع: السفر من بغداد إلى البصرة ١٠٣

وصف المركب ١٠٤

تكملة الرحلة فى دجلة ١٠٥

- العمارة (كوت العمارة) ١٠٦
 عادات البدو ١٠٨
 القرنه ١١٠
 السكان ١١٣
 الفصل العاشر: وصف البصرة ١١٥
 رسوم المكس ١١٦
 تجار هنود في البصرة ١١٨
 الفصل الحادي عشر: الأوزان و النقود و المقاييس في مدينة البصرة ١٢١
 الأوزان ١٢١
 المقاييس ١٢١
 النقود ١٢٢
 الضرائب ١٢٥
 رحلة الإيطالي كاسبارو بالبي/ تعريب بطرس حداد، ص: ١٦٨
 الموازين من جديد ١٢٧
 أجور السفن ١٢٧
 الفصل الثاني عشر: الإبحار من البصرة إلى جزيرة هرمز ١٣١
 الحمام الزاجل ١٣١
 مغادرة البصرة ١٣٢
 وصف السفينه ١٣٤
 تكمله الرحلة ١٣٨
 مقاييس هرمز ١٤١
 الفصل الثالث عشر: العودة من البصرة إلى بغداد في نهر دجلة ١٤٣
 الوصول إلى بغداد ١٤٥
 المصادر و المراجع ١٤٩
 الفهارس العامة ١٥٣
 فهرس الأعلام ١٥٥
 فهرس الأماكن ١٥٧
 فهرس عمراني ١٦١

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهدوا بأموالكم و أنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (التوبة/٤١).
 قال الإمام علي بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ
 كَلَامِنَا لَأَتَّبَعُونَا... (بسنادر البحار - في تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عيون أخبار الرضا(ع)، الشيخ
 الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "الثقافي بأصفهان" - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - "رَحِمَهُ اللهُ" - كان أحدًا من جهاينة هذه
 المدينة، الذي قد اشتهر بشعفه بأهل بيت النبي (صلوات الله عليهم) و لاسيما بحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) و
 بساحه صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ و لهذا أسس مع نظره و درايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠
 الهجرية القمرية)، مؤسسه و طريقه لم ينطفئ مصباحها، بل تتبّع بأقوى و أحسن موقف كل يوم.

مركز "القائمة" للتحرى الحاسوبى - بأصفهان، إيران - قد ابتدأ أنبتطته من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (=١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامى - دام عزه - ومع مساعده جمع من خزيجى الحوزات العلميه و طلاب الجوامع، بالليل والنهار، فى مجالات شتى: دينيه، ثقافيه و علميه...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافه الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحرى الأذق للمسائل الدينيه، تخليف المطالب النافعه - مكان البلايتى المبتدله أو الرديئه - فى المحاميل (=الهواتف المنقله) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضيه واسعة جامع ثقافيه على أساس معارف القرآن و أهل البيت -عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعه ثقافه القراءه و إغناء أوقات فراغه هواه برامج العلوم الإسلاميه، إناله المنابع اللازمه لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة فى الجامعه، و...

- منها العداله الاجتماعيه: التى يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثه متصاعده، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - فى آكناف البلد - و نشر ثقافه الاسلاميه و الإيرانيه - فى أنحاء العالم - من جهه أخرى.

- من الأنشطة الواسعه للمركز:

(الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءه

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيه و مكتبيه، قابله للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثيه الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركه و... الأماكن الدينيه، السياحيه و...

(د) إيداع الموقع الانترنتى "القائمة" www.Ghaemiyeh.com و عدده مواقع أخره

(ه) إنتاج المُنْتَجَات العرضيه، الخطابات و... للعرض فى القنوات القمرية

(و) الإطلاع و الدعم العلمى لنظام إجابة الأسئلة الشرعيه، الاخلاقيه و الاعتقاديه (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائى و اليدوى للبلوتوث، ويب كشك، و الرسائل القصيره SMS

(ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعيه و اعتباريه، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميه، الجوامع، الأماكن الدينيه كمسجد جمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسه" الخاص بالأطفال و الأحداث المشاركين فى الجلسه

(ي) إقامة دورات تعليميه عموميه و دورات تربية المربى (حضوراً و افتراضاً) طيله السنه

المكتب الرئيسى: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد" / "ما بين شارع" پنج رمضان " و"مفتق" و"فانى" / "بنايه" القائمية "

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (=١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهويه الوطنيه: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجاريه و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠١٠٩

امور المستخدممين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظه هامه:

الميزانيه الحاليه لهذا المركز، شعبيه، تبرعيه، غير حكوميه، و غير ربحيه، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكننا لا توافى الحجم المتزايد و المتسع للامور الدينيه و العلميه الحاليه و مشاريع التوسعه الثقافيه؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمية) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحة بقيه الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفى الكل توفيقاً متزائداً لإعانتهم

- في حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ والله وليّ التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
الغمامة اصححان

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

